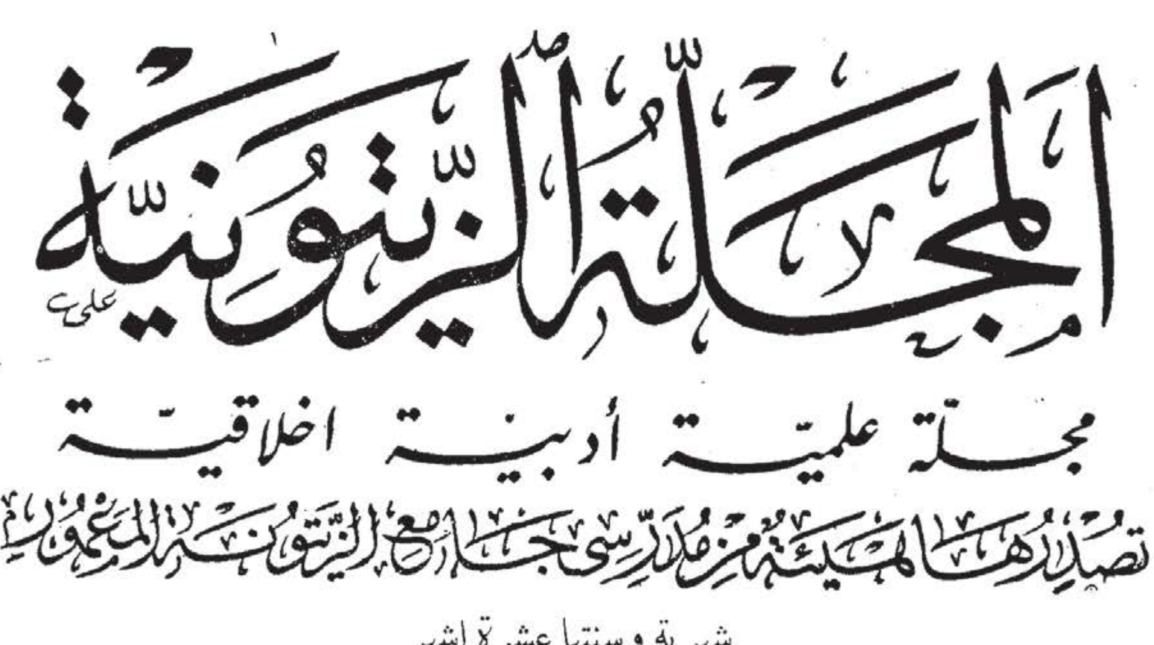


شهرية وسنتها عشرة اشهر

الجزء الخامس	تونس في محرم الحرام ١٣٦٠ وفي فيفري ١٩٤١	المجلد الرابع

رئيس قلم التحرير :

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي

بالديار التونسية

صاحب المجلة والمدير :

محمد الشاذلي بن القاضي

المدرس من الطبقة الأولى بجامع الزيتونة

والخطيب الاول بجامع حمودة باشا

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

حساب جاري بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

ثمن الجزء ثلاثة فرنكات

المطبعة التونسية نهج سوق البلاط عدد ٥٧

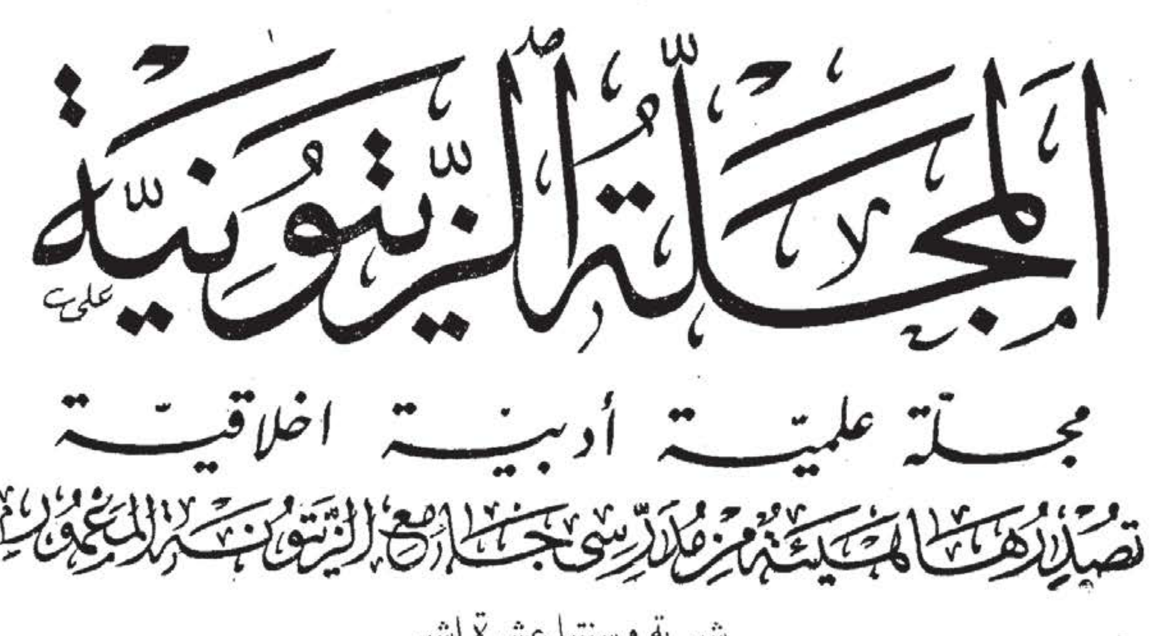
فهرس العدد

المنعم الشيخ القروي ؟

انتظر ترجمته وادوار حياته بقلم العلامة امير الامراء سيدي محمد بن الخوجة في العدد المقبل

« اعتـــذار »

ضاق العدد عن نشر بقية المقالات والقصائد فنعتذر لاصحابها مع الوعد بنشرها في العــدد القابل ان شاء الله .



شهرية وسنتها عشرة اشهر

الجزء الخامس	تونس في محرم الحرام ١٣٦٠ وفي فيفري ١٩٤١	المجلد الرابع

رئيس قلم التحرير :

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي

بالديار التونسية

صاحب المجلة والمدير :

محمد الشاذلي بن القاضي

المدرس من الطبقة الأولى بجامع الزيتونة

والخطيب الاول بجامع حمودة باشا

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

حساب جاري بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

ثمن الجزء ثلاثة فرنكات

المطبعة التونسية نهج سوق البلاط عدد ٥٧

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ
إِلَيَّ (سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ) فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي
كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ (سُورَةُ المَائِدَة)

توفي الله عيسى

ابن مريم عليه الصلاة والسلام - ورفعه اليه - ونزوله

بقلم العلامة الجليل صاحب الفضيلة الشيخ
سيدي محمد البشير النيفر المفتي المالكي

سالني سائل من حذاق طلاب العلم والتحقيق بجامع الزيتونة عشية يوم التروية من هذا الشهر المنصرم عن مسائل طال فيها البحث والجدال بين ثلة من تلاميذ الجامع الاعظم في الايام الاخيرة فاجبته عنها بما وعته الذاكرة واطمأن له قلبه ، ثم عقدت العزم على ان اكتب فيها بتوسع وانشر في في المجلة الزيتونية المباركة ما يوفق الله بمعونته ومنه الى كتابته وتحريره قياما بما يجب من نشر الحق وتعميما لفائدته .

تلكم المسائل هي (١) توفي الله عيسى بن مريم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام(٢)ورفعه اليه(٣) ونزوله آخر الدنيا وهي مسائل ثارت فيها شبه تمسك بعناكبها قليل من اهل العلم بالمشرق والمغرب فخرجوا فيها عما كان عليه سلف هذه الامة الصالح من أيمة التفسير والحديث .

وأرجو بتوفيق الله ان يكون ما أخطه فيها بقلم الانصاف والتحري وتحكيم الكتاب والسنة وفهمهما فهما موزونا بميزان الروية والاعتدال - ارجو ان يكون ما اخطه فيها كاشفا للشبهة رافعا لمن وقع فيها الى مستوى الحق ، وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب .

توفي الله عيسى عليه الصلاة والسلام

جاء ذكر توفي الله المسيح عيسى ابن مريم في آيتين من القرآن الحكيم الاولى آية آل عمران :

اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك إلي والثانية آية المائدة : فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم فسبق الى فهم بعض طلبة العلم : على غير روية ولا تبصر ان الآيتين ظاهرتان او صريحتان في موت عيسى عليه السلام كما مات الرسل من قبله ، وتذرعوا بهذا الى رد الاحاديث المستفيضة المتواترة في معناها الناطقة بنزوله آخر الدنيا بشبهة مخالفتها لما في كتاب الله تعالى . وما هي بالتي تخالفه . ولو نظروا نظرة عادل ضليع باللغة وفهم الكتاب العزيز آخذ بالسنة التي بين بها الرسول صلى الله عليه وسلم للناس ما نزل اليهم لانتهوا الى مستقر الحقيقة في فهم الآيتين .

شاع استعمال التوفي في الاماتة فيما بين العامة والخاصة حتى صار مثل توفاه الله لا يسبق الى الفهم منه الا اماته وقبض روحه ، ولكن التوفي لغة ليس هو الاماتة بل اعم منها ، وقد صرح بهذا غير واحد من ايمة التفسير منهم الامام ناصر الدين البيضاوي قال في تفسير آية المائدة : فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم ما نصه : والتوفي اخذ الشيء وافيا والموت نوع منه قال الله تعالى : الله يتوفى الانفس حين موتها اه وكثير من ايمة اللغة مثل هذا .

قال ابن منظور في لسان العرب عند الكلام على مادة وفى ما نصه باختصار :

وقال غيره « اي غير الجوهوي الذي نقل عنه فيما قبل « توفي الميت استيفاء مدته التي وفيت له وعدد ايامه وشهوره واعوامه في الدنيا . . . . ومن ذلك قوله عز وجل الله يتوفى الانفس حين موتها أي يستوفي مدد آجالهم في الدنيا اه المقصود منه .

فتبين بما نقلنا عن البيضاوي وابن منظور ان التوفي ليس هو الاماتة ولو كان اياها لرأيت معنى قوله تعالى : الله يتوفى الانفس حين موتها : الله يميت الانفس حين موتها وهو مما لا يرضى احدنا بمثله لكلامه فما بالك باعلى الكلام وابلغه . اذن فقوله تعالى : اني متوفيك وقوله : فلما توفيتني ليسا بنصين ولا ظاهرين في الاماتة ، ومن القواعد الاصولية ان الاعم لا اشعار له بأخص معين .

فمعنى الآية الاولى والله اعلم : اني مستوفي اجلك من الدنيا وهو الاجل الاول الذي كتب الله له فيه ان يبعث الى بني اسرائيل مصدقا لما بين يديه من التوراة وليحل لهم بعض الذي حرم عليهم .

ومعنى الآية الثانية والله اعلم : فلما استوفيت اجلي من الدنيا وليس استيفاء الاجل بنص ولا ظاهر في الاماتة التي يحاول بعض طلبة العلم حمل الآيتين عليها توسلا بها الى التكذيب بنزوله الذي لم تتسع قلوبهم للاعتقاد به وهذا الوجه في تفسير التوفي ذكره غير واحد من المفسرين ويؤخذ من بعضهم ترجيحه اذ صدر به .

وقد حمل التوفي في آية آل عمران على وجوه أخر .

ومن اجمع الكلام لما حمل التوفي عليه فيها مع الايجاز كلام الحافظ ابن كثير . قال عند الكلام على الآية ما نصه :

اختلف المفسرون في قوله تعالى اني متوفيك ورافعك الي فقال قتادة وغيره : هذا من المقدم والمؤخر تقديره اني رافعك الي ومتوفيك يعني بعد ذلك وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس اني متوفيك اي مميتك ، وقال محمد بن اسحاق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه قال توفاه الله ثلاث ساعات من اول النهار حين رفعه اليه . . . قال مطر الوراق أي متوفيك من الدنيا وليس بوفاة موت وكذا قال ابن جرير توفيه رفعه . وقال الاكثرون المراد بالوفاة هنا النوم كما قال تعالى : وهو الذي يتوفاكم بالليل اه المراد منه .

وحاصله ان في التوفي وجوها (١) انه بمعنى الاماتة والكلام على التقديم والتاخير أي اني رافعك الى سمائي ومميتك بعد نزولك (٢) وانه بمعنى الاماتة وليس في الكلام تقديم وتاخير على ان الله توفاه ثلاث ساعات حين رفعه اليه (٣) وانه بمعنى توفيه من الدنيا بمعنى استيفاء اجله منها وليس بوفاة موت (٤) وانه بمعنى النوم .

واقول هذا هو مراد ابن عباس من الاماتة التي نقلها ابن كثير عنه على ما نقل القرطبي عن الربيع بن انس قال في تفسير هذه الآية : وروى ابن طلحة عن ابن عباس معنى متوفيك مميتك ، الربيع بن أنس : وهي وفاة نوم قال الله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل اي ينيمكم لان الوفاة اخو النوم كما قال صلى الله عليه وسلم لما سئل أفي الجنة موت قال لا النوم اخو الموت والجنة لا موت فيها اخرجه الدارقطني اه كلامه .

وانما صرف الربيع بن انس الاماتة في كلام ابن عباس الى وفاة النوم ولم يحملها على موت كموت الرسل من قبله لانه صح عنه من التصريح بنزوله كما تراه منقولا عنه في تفسير آية آل عمران : وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته وآية الزخرف: وانه لعلم للساعة وكل من ينقل عنه تفسير التوفي بالاماتة فانما يعني منها انها اماتة موقتة ثم احياه الله وانه ينزل آخر الدنيا او يعني من الاماتة الخروج من الدنيا . هذا هو الذي تعطيه الاحاطة الواسعة باقوال محققي المفسرين في الموضوع وقد نقل عن الامام مالك رحمه الله وهو في العتبية انه قال مات عيسى ابن ثلاث وثلاثين سنة فحمل ابن رشد الموت في كلامه على الخروج من عالم الارض الى عالم السماء او الموت الموقت لان مالكا رحمه الله صرح بنزوله وسياتي النقل عنه قريبا .

على ان القرطبي قال في تفسيره : والصحيح ان الله رفعه الى السماء من غير وفاة ولا نوم كما قال الحسن وابن زيد وهو اختيار الطبري وهو الصحيح عن ابن عباس وقاله الضحاك اه وعليه فرواية تفسير التوفي بالاماتة عن ابن عباس لا تصح والصحيح عنه ان المراد توفيه من الدنيا وهو اختيار شيخ المفسرين ابن جرير الطبري .

ومما يرجحه على ما ظهر للعبد « والله أعلم » انه هو المناسب للتوفي في آية المائدة : فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم ، اي لما استوفيت اجلي من الدنيا . ويبعد ان يكون معناه : فلما انمتني او توفيتني ثلاث ساعات وقد اقتصر عليه ناصر الدين البيضاوي .

فتمحص من هذا ان التوفي في الآيتين ليس بنص ولا ظاهر في معنى الاماتة وان الذي اخترناه في معناه هو الذي اختاره جماعة من المفسرين في مقدمتهم ابن عباس على ما هو الصحيح عنه وكفى بهذا في تحقيق معنى التوفي .

رفعه الى السماء

جاء ذكر رفع المسيح عليه السلام في آيتين أيضا احداهما آية آل عمران : ورافعك الي والثانية آية النساء : وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وقد اتفق المفسرون سلفا وخلفا على ان الرفع رفع للجسد والروح جميعا ومنهم السيدان الالوسي وصديق حسن خان من اوسع متاخري المفسرين علما واطلاعا وادقهم فهما واشدهم استقلالا وهو صريح الاخبار الواردة في رفعه عليه السلام وظاهر القرآن العزيز حتى يكاد يكون صريحا فيه .

ذلك ان الله قال : وما قتلوه يقينا بلْ رفعه الله اليه فرد زعم القائلين بصلبه بقوله : بل رفعه الله اليه وهو لا يكون ردا عليهم الا اذا كان الرفع رفعا للروح والجسد ولو كان رفعا للروح فحسب - كما يذهب اليه اصحاب هذه النزعة الجديدة لما صح ان يكون قوله بل رفعه الله اليه تكذيبا لهم لان رفع الروح يكون مع القتل . وقد كنت حاججت بهذا - ولم اره لاحد ممن كتب في تفسير الآية - بعض من ناظرته في الموضوع فحججته ولم يحر جوابا .

وبعد هذا فرفعه بجسده وروحه عليه السلام فضلا عن كونه صريح الاخبار وظاهر القرآن هو صريح ما في انجيل برنابا فقد جاء في الفصل ٢١٥ منه ما نصه :

ولما دنت الجنود مع يهوذا (١) من المحل الذي كان فيه يسوع (٢) سمع يسوع دنو جم غفير فلذلك انسحب الى البيت خائفا وكان الاحد عشر (٣) نياما فلما رأى الله الخطر على عبده امر جبريل وميخائيل ورفائيل وأوريل سفراءه ان ياخذوا يسوع من العالم فجاء الملائكة الاطهار واخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنود فحملوه ووضعوه في السماء الثالثة صحبة الملائكة التي تسبح الله الى الابد اه .

وانجيل برنابا هذا يمتاز على الاناجيل المتداولة باثبات التوحيد وانكار الصلب والبشارة الصريحة بنبينا صلى الله عليه وسلم وقد كان ترجم الى العربية وطبعه الشيخ السيد محمد رشيد رضا منذ بضع وثلاثين سنة .

---

(١) يهوذا هو مبعوث اليهود لاخذ المسيح عليه السلام للصلب (٢) يسوع هو عيسى عليه السلام (٣) (الاحد عشر النيام) تلاميذ المسيح .

نزوله آخر الدنيا

تظاهرت الاخبار على نزول المسيح عليه السلام آخر الدنيا وقد اخرج هذه الاحاديث البخاري ومسلم وابو داود والترمذي وابن ماجه واحمد وصرح غير واحد من اهل العلم بتواترها ولعلهم يعنون التواتر المعنوي وتلقاها علماء السلف بالقبول وعد الشيخ ابو الحسن الاشعري رضي الله عنه الاعتقاد بنزوله فيما عده من عقائد اصحاب الحديث واهل السنة .

قال في كتاب مقالات الاسلاميين واختلاف المضلين ما نصه :

جملة ما عليه اصحاب الحديث واهل السنة الاقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله حتى قال ويصدقون بخروج الدجال وان عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام يقتله اه وقد اورد كلامه على طوله ابن القيم في الباب الاول من كتابه حادي الارواح الى بلاد الافراح فليرجع اليه من اراد الاستفادة منه

وحديث نزوله وان لم يخرجه مالك في الموطا فقد كان يعتقد به وحاشا مثله وهو من صميم ايمة الحديث والسنة ان يخرج عما عليه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون لهم قال في العتبية : قال مالك بينا الناس قيام يستمعون لاقامة الصلاة فتغشاهم غمامة فاذا عيسى قد نزل اه

وقد ذهب جمع من اهل العلم وايمة التفسير الى ان نزوله جاء في آيتين من كتاب الله تعلى : الاولى آية النساء : وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته والثانية آية الزخرف : وانه لعلم للساعة

اما الآية الاولى فقد قال فيها الحافظ ابن كثير في تفسيره ما نصه :

قال ابن جرير اختلف اهل التاويل في معنى ذلك فقال بعضهم معنى ذلك : وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته يعني قبل موت عيسى يوجه ذلك الى ان جميعهم يصدقون به اذا نزل لقتل الدجال اه .

وحاصله ان المعنى وما من اهل الكتاب الا ليؤمنن بعيسى قبل موته اذ انزل والمراد من الكتاب على هذا من يكونون موجودين عند نزوله لا اهل الكتاب عامة وممن نقل عنه تفسير الآية بهذا ابن عباس من طريقي ابن جبير والعوفي ثم قال ابن كثير :

قال ابن جرير وقال آخرون يعنى بذلك : وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به : بعيسى قبل موت الكتابي اه .

وحاصله ان المعنى : وما من اهل الكتاب الا ليؤمنن قبل موته بعيسى عليه السلام ايمانا صحيحا وذلك اذا اشرف على الموت واطل على عالم الحق فيؤمن اليهودي بانه رسول الله ولم يصلب ويؤمن النصراني بانه عبد الله ولم يصلب ايضا ، وقد رجح الاول ابن جرير وابن كثير وهو مروي عن ابي هريرة في الصحيح ولعل الثاني اظهر والله اعلم .

وأما الآية الثانية فقد جاءت في سياق حديث عن المسيح عليه السلام وقبلهـا : ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون وقالوا ءالهتنا خير أم هو ؟ ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قـوم خصمون . ان هو الا رجل انعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني اسرائيل ؛ وانه لعلم للساعة ، وقرئى علـم بكسر العين وسكون اللام وعلم بفتحهما .

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ما نصه : الصحيح انه « اي الضمير عائد على عيسى عليه الصلاة والسلام فان السياق في ذكره ثم المراد بذلك نزوله قبل يوم القيامة . . . ويؤيد هذا المعنى القراءة الاخرى : وانه لعلم للساعة اي امارة ودليل على وقوع الساعة قال مجاهد وانه لعلم للساعة اي آية للساعة خروج عيسى ابن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة وهكذا روي عن ابي هريرة وابن عباس وابي العالية وابي مالك وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم وقد تواترت الاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اخبر بنزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة اماما عادلا وحكما مقسطا اهـ . ـ كلام ابن كثير

وهذا هو الوجه الظاهر في تفسير الآية ويقابله وجوه ثلاثة أخر احدها ان الضمير للقرءان لانه دل على اقتراب الساعة ثانيها ان الضمير للمسيح اي ان حدوثه من غير اب واحياءه للموتى دليل البعث وعلامة امكانه ثالثها انه لنبينا صلى الله عليه وسلم فان بعثه من امارات الساعة والاول اولى واقرب

فتمحص من هذا ان نزول عيسى عليه الصلاة والسلام تظاهرت عليه الاحاديث المتواترة في معناها ونطق القرآن العزيز في آيتين منه على اختلاف بين اهل التفسير واجمع عليه اهل السنة واصحاب الحديث فكيف يسع احدا انكاره فيما بعد .

هذا ما يسر الله ان نقوله « والله يدعوا الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم

فرغ من جمع هذا وتحريره عبيد ربه محمد البشير النيفر في الثالث والعشرين من ذي الحجة عام ١٣٥٩

الحياء فضيلة

حدث ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال :
« الحياء من الايمان ، والايمان في الجنة ، والبذاء من الجفاء ، والجفاء في النار » .
وقال بعض الحكماء : « من كساه الحياء ثوبه ، لم ير الناس عيبه » .
وقال صالح بن عبد القدوس :

اذا قل مـاء الوجـه قل حيـاؤه ولا خير في وجـه اذا قل مـاؤه
حيـاؤك فاحفظـه عليـك وانمـا يدل على فعل الكريم حيـاؤه

يظن بعض الناس ان الحياء منشأه ضعف في النفس وقد اخطأوا كثيرا والحقيقة ان الوقح اذا تكمن في النفس لا يزال يدفع صاحبه حتى يسقط اعتباره .

الحديث الشريف

فضل من علم وعلم

أَخْرَجَ البُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ العَلَاءِ قَالَ : حَدَّثَنَا حَمَّادُ بنُ أُسَامَةَ عَنْ بُرَيْدِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ عن ابي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضاً فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قبلَتْ الماء فَأَنْبَتَتْ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتْ الماء فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا وَأَصَابَ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْساً وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ .

البيـــان (*)

إن الله تعالى جلت حكمته وعظمت قدرته ارسل رسوله صلوات الله عليه وسلامه بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات الى النور فميز به بين الحق والباطل والهدى والضلال والرشاد والغي والعلم والجهل والمعروف والمنكر وطريق أولياء الله السعداء واعداء الله الاشقياء .

فدعى الرسول الناس لتوحيد الله تعالى على طريق البشارة والانذار وأرشدهم الى الحق والى الطريق المستقيم وعلمهم ما شرع الله لهم بما فيه صلاحهم في الدارين حتى يكونوا عبادا لله اختيارا كما هم عباد له تعالى اضطرارا ولكن حالات الناس في القبول والاعراض مختلفة ومراتبهم في الاهتداء والمعرفة متفاوتة وقد أفصح عن ذلك القرآن وبينه الرسول في غير ما حديث منها حديث الباب .

والكلام على هذا الحديث من وجوه من خرجه من اصحاب السنن وسنده في رواية البخاري وما تضمنه الاسناد من اللطائف . وفي بيان معناه . وفي تنزيله . وفيما اشتمل عليه الحديث من المعاني السامية

(*) درس ختم الحديث الشريف الذي القاه مدير المجلة محمد الشاذلي ابن القاضي بعد عصر يوم الثلاثاء في ٢٧ رمضان المعظم عام ١٣٥٩ المنصرم بجامع جوده باشا المرادى

الحديث اخرجه البخاري في كتاب العلم فحسب واخرجه الامام مسلم في فضائل الرسول صلى الله عليه وسلم واخرجه النسائي في العلم. وترجم له البخاري بباب فضل من علم وعلم فهو رضي الله عنه عقده على قولـه صلى الله عليه وسلم في الحديث فعلم وعلم ومأخذ الفضيلة من الحديث انـه مسوق في معرض المدح على سبيل التمثيل على ما ذكر في العمدة. ورجاله في رواية البخاري خمسة وهم :

محمد بن العلاء ويكنى بأبي كريب وهو قد اشتهر بكنيته قالوا في ترجمته هو صدوق مكثر لرواية الحديث ظهر له بالكوفة مائـة الف حديث مات سنة ٢٤٨ ثمان واربعين ومائتين .

الثاني أبو أسامة حماد بن أسامة بن زيد الهاشمي القرشي الكوفي وشهرته بكنيته أيضا قالـوا في ترجمته هو ثبت صدوق حافظ حجة روي عنه انه قال كتبت باصبعي هاتين مائة الف حديث مات سنة ٢٠١ احدى ومائتين وهو ابن ثمانين سنة .

الثالث بريد بن عبد الله ابن أبي بردة بن أبي موسى الاشعري رضي الله عنـه هو من الاعلام وثقة ابن معين وغيره وقد روى له اصحاب السنن .

الرابع ابو بردة ابن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه واسمه عامر وقيل الحرث سمع اباه وعلى ابن ابي طالب وابن عمر وابن سلام وعائشة وغيرهم وروي عنـه عمر ابن عبد العزيز والشعبي وغيرهما ولي قضاء الكوفة بعد القاضي شرح قال الواقدي توفى سنة ثلاث ومائة وكان ثقة كثير رواية الحديث .

الخامس أبو موسى الاشعري الصحابي المشهور واسمه عبد الله وهو من عمال الرسول استعمله على زبيـد وعدن وساحل اليمن . واستعمله عمر على الكوفة والبصرة ومات سنة خمس واربعـين عن ثلاث وستين سنة .

وقد اشتملت هـذه الرواية على لطائف في الاسناد - أولها ان فيهـا التحديث والعنعنه - الثاني ان الرواة كلهم كوفيون - الثالث ان بريد يرويه عن جده ابي بردة وأبو بردة يرويه عن أبيه أبي موسى الاشعري رضي الله عنه .

قال صلى الله عليه وسلم : مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم . المثـل له مفهوم لغوي وهـو النظير ومفهوم عرفي وهو القول السائر ومعنى مجازي وهو الحال الغريبـة والصفة العجيبة وهو المعنى المراد في هذا الحديث . كانه قيل الصفة العجيبة لما بعث به صلى الله عليه وسلم من الهدي والعلم كصفة الغيث المنهمل العام الذي أتى الناس في حال حاجتهم اليه . وكذلك كان حال الناس كافة قبل مبعثه عليه الصلاة والسلام متعطشين الى من يحيي منهم ميت القلوب .

وما بعث به صلى الله عليه وسلم هو دين الله المتين وشرعه المشتمل على مصالح العباد في الدارين رحمة منه سبحانه بالعالمين قال تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين .

وكانت بعثته صلى الله عليه وسلم عامة خاتمة لسائر الاديان وناسخة لما سبقها من الشرائع وذلك مما خص به مولانا الديان رسوله وحبيبه وصفيه في هذا الشان .

وعموم بعثته صلى الله عليه وسلم أفصح عنها القرآن قال تعالى : وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا . وبينها الرسول بافصح لسان من ذلك ما رواه عمر بن شعيب عن أبيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عام تبوك قام من الليل يصلي فاجتمع رجال من أصحابه يحرسونه حتى اذا صلى وانصرف اليهم قال لهم : اعطيت الليلة خمسا ما اعطيهن أحد قبلي اما اولاهن فارسلت الى الناس كلهم عامة وكان من قبلي يرسل الى قومه - الحديث - والمراد بعموم رسالته صلى الله عليه وسلم انه مبعوث برسالة من الله الى الثقلين بما يعم من كان في زمانه ومن يأتي بعدهم الى آخر الزمان . وأما غيره من الرسل عليهم من الله أفضل الصلاة وأزكى التسليم فان الرسول كان يرسل الى قومه على معنى انه يرسل الى طائفة من الناس او كلهم ثم تنسخ بشريعته شريعة أخرى وبما تقرر تظهر الخصوصية ويتضح الجواب عما استشكل من الخصوصية في عموم رسالته صلى الله عليه وسلم مع ان نوحا عليه الصلاة والسلام عمت رسالته . قال الحافظ ابن حجر في الفتح : يحتمل ان يكون معنى الخصوصية لنبينا صلى الله عليه وسلم في ذلك بقاء شريعته عليه الصلاة والسلام الى يوم القيامة ونوح وغيره بصدد ان يبعث نبي في زمانه أو بعده فينسخ بعض شريعته .

ولكن يبقى علينا قوله عليه الصلاة والسلام وكان من قبلي يرسل الى قومه وما ورد في كثير من الآيات ان ارسال نوح عليه السلام كان الى قومه كقوله تعالى في سورة .

فالجواب عنه انه ارسل الى اهل الارض قبل ان يتفرق الناس ويعمروا الاقطار فكلهم قومه .

قال ابن حجر يحتمل انه لم يكن في الارض عند ارسال نوح الا قومه فبعثة نوح خاصة لكونها الى قومه فقط وهي عامة في الصورة لعدم وجود غيرهم لكن لو اتفق وجود غيرهم في مكان آخر لم يكن مبعوثا اليهم ويؤيده ما ورد في حديث الشفاعة : عند ما يلتجيء اهل الموقف الى نوح يقولون له (انت أول رسول الى اهل الارض) وبه يحصل الجمع بين الاحاديث ايضا .

وهذا الجواب اظهر من قولهم ان نوحا كان مبعوثا الى اهل الارض بعد الطوفان لانه لم يبق الا من كان مؤمنا معه وقد كان مرسلا اليهم فان هذا العموم لم يكن من اصل البعثة وانما هو امر اتفق بعد الطوفان فانحصر الخلق في الموجودين بعد هلاك سائر الناس وعليه فتكون رسالته في الاصل خاصة وما حدث من العموم انما اتفق بالحادث الذي وقع وهو انحصار الخلق في الموجودين لانه يرد على هذا الجواب ان الله تعالى عاقب أهل الارض بالطوفان وهذا العقاب حصل بعد الاعراض عن قبول دعوة الرسول والمعاندة وطول الحجاج ويستحق العقاب من دعي الى الحق فاعرض ونأى قال تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) فاستحقاقهم العذاب كان بعد بلوغ الدعوة

اليهم من الرسول واعراضهم عن القبول ونوح عليه السلام قد دعا على كل الكافرين فقال (رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا) فلو كانت دعوته لم تشمل الجميع ما كان يدعو على من لم يدعه للايمان فلم يؤمن به .

واما ما نحا اليه ابن عطية في تفسيره من ان نوحا عليه السلام دعا قومه الى توحيد الله فبلغ بقية الناس فتمادوا على الشرك فاستحقوا العذاب فهذا وان كان يمكن ان يقال في اصل استحقاق العذاب على ما فيه لكنه لا يتم مع دعاء نوح على جميع الكافرين بالهلاك كيف يدعو عليهم وهو لم يكن مرسلا اليهم ولا دعاهم للايمان ولا أبلغهم الحق الذي جاء به من عند الله !

واما بما ذكرنا فيسقط التوقف من اصله وتكون رسالة نوح عليه الصلاة والسلام لا تساوي عموم رسالة النبي صلى الله عليه وسلم التي عمومها لمن كان موجودا في عصر البعثة ولمن يوجد بعده من غير تبديل ولا نسخ الى ان يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين .

وقد توهم بعض المعاندين من اهل هذا العصر استشكالا على عموم رسالة النبي صلى الله عليه وسلم مع انه دعا الناس وخاطبهم بالقرآن الذي جاء بلغة خاصة وهي لغة العرب .

وجوابنا عن ذلك ان الله تعالى قال في محكم التنزيل وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه . فالآية تدل بعمومها على كون الرسول المرسل يتكلم بلغة من يظهر فيهم لان الرسول يدعو الناس فيخاطبهم بما يفهمون ليحصل المقصود من البعثة وهو أول من يدعو أهله وعشيرته ثم تتسع الدعوة حتى تشمل كل من هو مقصود بالخطاب وقد يكون خاصا وقد يكون عاما وعلى كل التبليغ الاول انما يكون للمتصلين به الذين بعث فيهم فينطق بلسانهم ويتكلم بلغتهم ليفهموا منه مقاصده اولا ثم يبلغ الشاهد الغائب ويحصل التبليغ لغير أهل تلك اللغة من الذين هو مرسل اليهم بالتراجم

اضف الى ذلك ان كون الرسول يظهر في قوم وينتسب الى اصلهم ويتكلم بلغتهم أمر بشري لا مناص منه وهي سنة الله في المرسلين ولن تجد سنة الله تبديلا . والنبي صلى الله عليه وسلم أول ما دعا آل بيته وخاصته وخاطبهم بالقرآن ثم جهر بالدعوة وخاطب قريشا وتلى عليهم القرآن ثم دعا قبائل العرب عامة ثم كتب الى رؤساء الامم ودعاهم الى الاسلام على طريق ملوكهم وضمن كتبه آية (قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون) وكانت كتبه باللغة العربية وعند ما يتصل الملك بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحضر ترجمانه فيتلو عليه ترجمة كتاب رسول الله وبذلك بلغ صلى الله عليه وسلم رسالته للامم ودعاهم لتوحيد الله وتصديق رسالته . واخذ ما جاء به من الهدى والعلم .

ودعوة الرسول تشمل كل مكلف عاقل بالغ خال عن العوارض التي تمنع التكليف كالجنون والصبا فمثل هؤلاء غير مخاطبين بتكاليف الشريعة .

قال منلاخسرو في المرآة : التكليف موقوف على اهلية المكلف قال عليه الصلاة والسلام رفع القلم عن ثلاث وعد منها الصبي حتى يحتلم والمجنون حتى يفيق . وهل الغافل يتوجه اليه الخطاب ؟

قال الامام ابن السبكي في جمع الجوامع الصواب امتناع تكليف الغافل والملجأ وكذا المكره . قال سعد الدين التفتزاني في حواشيه على العضد : ان الغافل الذي لا يتوجه اليه الخطاب هو الذي لا يفهم الخطاب كالصبيان او يفهمه لكنه لم يقل له انه مكلف كالذي لم تبلغ اليه دعوة نبي فظهر ان الغافل عن التصور هو الذي لا يجوز تكليفه لا الغافل عن التصديق . قال العطار في حواشيه على المحلي : واعتبر تكليف الغافل تكليفا محالا لخلل في المأمور .

فعلمنا ان المنقطع الذي لم تبلغه دعوة الاسلام غير مكلف قال الكمال ابن الهمام في المسايرة : قال الاشاعرة وحنفية بخارى لا يجب ايمان قبل البعثة فمن مات ولم تبلغه دعوة رسول ليس من اهل النار . وهل دعوة الاسلام بلغت الكافة ؟

قال الامام ابن رشد في المقدمات : الصحيح ان دعوة الاسلام قد بلغت جميع العالم . اه قالوا وما صححه ابن رشد لا يناقضه ما ظهر من الخلق في الجزر الخالدات ايام الامير ابي الحسن المديني وهم خلق كانوا يسكنون الجزر المذكورة لا يعرفون النبوة ولا بلغتهم دعوة نبينا عليه الصلاة والسلام ولم يكونوا على دين قط . اي ومثلهم ما ظهر بعد ذلك من الخلق بعد استكشاف الدنيا الجديدة . قالوا الجواز حمل كلام ابن رشد على جل العالم الذي تيسر الوصول اليه وعثر عليه اذ لا يعلم جنود ربك الا هو فمثل هؤلاء الناس اذا لم تبلغهم الدعوة وكان حالهم كما ذكرنا هم الذين يحكم عليهم بانهم تحت المشيئة .

فعلمت مما تقدم انه اذا كان هناك من البشر من لم تبلغه الدعوة يحكم بانه تحت المشيئة ولا يحكم بكفره . ولا يلزم في بلوغ الدعوة ان يدعوهم امير المسلمين بل بذلك وبما يصل الى علمهم من المسلمين ان الرسول صلى الله عليه وسلم مرسل بشريعة عامة الى كافة البشر فالعلم الحاصل بمجرد السماع كاف ولا يتوقف امرهم على دعوة امير المسلمين . قال امام دار الهجرة مالك ابن انس رضي الله عنه في المدونه من قربت داره من الكفار اي من ديار المسلمين فلا يدعى الى الاسلام لعلمهم بالدعوة اي بل يقاتلون من غير دعوة الى الاسلام لانهم علموا انهم مخاطبون بالاسلام فكفروا به .

ونقل الكمال بن الهمام عن صاحب المحيط : بلوغ الدعوة حقيقة اوحكما بان استفاض الخبر شرقا وغربا انهم الى ما ذا يدعون فاقيم ظهور الدعوة مقامها انتهى كلام المحيط واستدل على اعتبار فشو الخبر بحديث مسلم عن ابن عوف كتبت الى نافع اساله عن الدعاء قبل القتال فكتب الي انما كان ذلك اول الاسلام قد اغار رسول الله صلى الله عليه وسلم على بني المصطلق وهم غارون (أي غافلون) وانعامهم تسقى على الماء فقتل مقاتلهم وسبى ذراريهم . اه فهذا يدل على ان فشو الخبر يعتد به في عدم وجوب دعوة مبتدأة ويحكم به بكفر من لم يسلم لكن كل ذلك اذا علمنا ان الخبر وصل اليهم قال ابن الهمام ولا شك ان في بلاد الله تعالى من لا شعور له بهذا الامر فالمدار على ظن ان هؤلاء القوم لم تبلغهم الدعوة فيدعون . اي فمن مات منهم قبل الاسلام وقبل التبليغ هو تحت المشيئة . وبذلك جزم ابن نجيم في البحر قال والدعوة تشمل الحقيقية والحكمية فالحقيقية باللسان والحكمية انتشار الدعوة شرقا وغربا قال وقد نص محمد عليه في السير الكبير

وقد بين صلى الله عليه وسلم ما بعث به فقال من الهدى والعلم قال الامام الالوسي : الهدى في الاصل مصدر هدى أو عوض عن المصدر والكل في كلام سيبويه . ولم يجيء من المصادر بهذه الزنة

الا قليل كالتقى والسرى والبكى بالقصر في لغة ولقى . والمراد به اسم الفاعل باحد الوجوه المعروفة في امثاله . ويتعدى الى المفعول الثاني باللام والى فيقال هداه لكذا والى كذا اذا لم يكن فيه فهداه اليه واما تعديته بنفسه كقولهم هداه كذا فمحتمل للحالين ما كان فيه وما لم يكن

وهو لفظ مؤنث عند ابن عطيه ومذكر عند اللحياني وبنو أسد يؤنثونه كما قال الفراء فهو كالهداية . والهداية دلالة بلطف ولذا أطلق على المشي برفق تهاد قال الشاعر يصف نسوة :

قلت أذ اقبلت وزهر تهادى كنعاج الفلا تعسفن رملا

وأما قوله عز وجل فاهدوهم الى صراط الجحيم فوارد على الصحيح مورد التهكم على حد قوله تعالى فبشرناهم بعذاب اليم

وقال صاحب الكشاف الهداية الدلالة الموصلة الى البغية . قال الجلال الدواني والمذكور في كلام الاشاعرة أن المختار عندهم ما ذكره في الكشاف وعند المعتزلة خلافه قال والتوفيق أن كلام الاشاعرة في المعنى الشرعي وغيره مبني على المعنى اللغوي أو العرف

قال الالوسي والحق عند أهل الحق ان الهداية مشتركة بين المعنيين المذكورين وعدم الاهلاك قال وبه يندفع كثير من القيل والقال . انتهى ما به الحاجة من كلامه رحمه الله

والمراد بكون ما بعث به صلى الله عليه وسلم هدى ان الله تعالى جعل في دعوة الرسول والقرءان الذي بعثه به هدى للناس ليخرجوا من الظلمات الى النور ويدلهم على طريق السعادة الراغبين فيها قال الراغب الاصفهاني في غريب القرءان :

هداية الله الناس على اربعة أوجه ـ الهداية التي عم بجنسها كل مكلف من العقل والفطنة والمعارف الضرورية التي أعطى منها على العموم كل شيء بقدر فيه حسب احتماله كما قال سبحانه (قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى)

الثاني الهداية التي جعل الله للناس بدعائه اياهم على السنة الانبياء وانزال القرءان ونحو ذلك وهو المقصود بقوله تعالى (وجعلنا منهم أئمة يهدون بامرنا)

الثالث التوفيق الذي يختص به من يهتدى وهو المعني بقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى

الرابع الهداية في الآخرة الى الجنة وهو المعني بقوله عز وجل ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الانهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله الآية وهذه الهدايات الاربع مرتبة فان من لم تحصل له الاولى لا تحصل له الثانية بل لا يصح تكليفه ومن لم تحصل له الثانية لا تحصل له الثالثة والرابعة . وقد يحصل البعض ولا يحصل الباقي وبهذا التفصيل نعلم ان الهداية باعطاء العقل والتمييز ومعرفة اسباب الحياة . والتوفيق والثواب وادخال الجنة كل ذلك مختص به تعالى وهي الهداية التي نفاها الله عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن البشر قاطبة في مثل

قوله تعالى ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء . وكل هداية اثبتها الله عز وجل للنبي او للبشر فهي من الهداية التي هي تعريف طرق الفلاح ودعاء الناس الى الحق ومجانبة الضلال . فالرسول هاد بما بعث به الى الحق والى الصراط المستقيم وما بعث به هدى ونور

وقوله صلى الله عليه وسلم (والعلم) العلم هو صفة توجب تمييزا لا يحتمل متعلقه النقيض . والتعلق هو النسبة بين العالم والمعلوم قال في المواقف : العلم لا بد فيه من اضافة اي نسبة مخصوصة بين العالم والشيء المعلوم وبتلك النسبة يكون العالم عالما بذلك المعلوم ويكون المعلوم معلوما لذلك العالم وتلك الاضافة وهي النسبة هي التي يسميها علماء الكلام التعلق

والعلوم من حيث هي مختلفة منها علوم شرعية وهي ما وقع تلقي أصله من الرسول — ومنها علوم غير شرعية وهي ما استفيد من طريق العقل أو التجربة أو النقل مثل الحساب والطب واللغة . والعلوم الشرعية منها ما تجب معرفته على الكفاية ومنها ما يجب طلبه ومعرفته عينا قال صلى الله عليه وسلم : طلب العلم فريضة على كل مسلم

قال الامام الغزالي في الاحياء : اختلف الناس في العلم الذي هو فرض عين على كل مسلم الذي جاء في الحديث فتفرقوا فيه أكثر من عشرين فرقة وكل فريق نزل الوجوب على العلم الذي هو بصدده

وقال أبو طالب المكي هو العلم بما تضمنه قوله صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس شهادة أن لا آله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة والحج وصوم رمضان

قال حجة الاسلام والذي ينبغي ان يقطع به المحصل ان المراد بالعلم في قوله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم هو علم المعاملات التي كلف العبد العاقل البالغ العمل بها وهي ثلاثة : اعتقاد . وفعل . وترك . ويدخل فيها ما يرجع الى الاخلاق الى ان قال : فمن وجبت عليه التكاليف الشرعية أول ما تجب عليه معرفته الايمان بالله واذا انتقل من حال الى آخر وجب عليه معرفة حكم الله فيه وهكذا فاذا دخل في وقت صلاة وجب عليه تعلم الصلاة واذا أدركه شهر رمضان وجب عليه تعلم ما يتعلق بالصوم واذا تعامل مع الناس بنوع من أنواع المعاملات وجب عليه تعلم ما يجوز فيه وما يحرم وعلى هذا القياس .

وما زاد على القدر الواجب عينا هو واجب على طائفة وفضيلة لباقي الناس . اه

ورأس العلم معرفة الله وفائدته العمل بما علمه الله . والمراد بالعلم في الحديث ما دلت عليه الادلة الشرعية من القرآن وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم وهو الذي مثله الرسول بالغيث الكثير

الغيث اسم للمطر كله وجمعه الغيوث ووصفه في الحديث بالكثرة اي المطر المنهمل الذي يسقي الارض ويحصل به النفع

وقوله صلى الله عليه وسلم اصاب ارضا فكان منها نقية الارض النقبه هي الطيبة وهي رواية مسلم وقوله قبلت الماء اي استقر فيها واختلط باجزائها فانبتت الكلأ والعشب الكثير

والكلاء والعشب والحشيش اسماء للنبات لكن الحشيش مختص باليابس منه والعشب والكلا بالقصر يختصان بالرطب والكلأ بالهمز يقع على اليابس والرطب وهو المذكور في الحديث وعطف عليه العشب من عطف الخاص على العام . وقوله الكثير صفة للعشب . وهذا وصف للطائفة الاولى من الارض التي أصابها الغيث فانتفعت به وانبتت النبات فكان منه الرطب واليابس فانتفع به

وقوله وكانت منها اجادب الاجادب جمع جدب على غير قياس وقياسه أن يكون جمع أجدب قال الخطابي الاجادب صلاب الارض التي تمسك الماء ولا يسرع شربها له وقال الاصمعي الاجادب ما لا ينبت . وقوله أمسكت الماء أي استقر على وجه الارض فنفع الله بها الناس وبين وجه النفع فقال فشربوا وسقوا وزرعوا أي شرب منه الناس وسقوا دوابهم وأراضيهم فزرعوها وهذا وصف للارض التي تعدى النفع منها الى غيرها ولم تنتفع هي .

وقوله وأصاب منها طائفة أخرى انما هي قيعان القيعان جمع القاع وهو الارض السبخة أو الملساء التي لا تنبت .

وقوله لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ بمعنى أنها لا تنتفع من الماء الذي يصيبها ولا ينتفع منها غيرها وهذا وصف لطائفة اخرى من الارض لا تنتفع مما أصابها ولا ينتفع منها غيرها

وذلكم ما جعله الرسول عليه الصلاة والسلام مثالا لمن قبل ما بعث به ومن لم يرفع بذلك رأسا فقال صلى الله عليه وسلم : فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به

الفقه في أصل اللغة الفهم يقال فقه بالكسر كفرح وأما الفقه الشرعي فقال الهروي وغيره يقال فيه فقه بالضم وقال ابن دريد بكسرهما معا قال في العمدة وهو في الحديث بالضم لان المراد به المعنى الشرعي فيكون مضموما على المشهور

ومن لم يرفع رأسا هو المتكبر الذي لا يلتفت الى ما يقال له وفي هذا التمثيل بيان مثال ماجاء به النبي صلى الله عليه وسلم من الهدى والعلم وفيه بيان مثال الناس في الانتفاع به والنفع والاعراض قال العيني في العمدة : في الحديث تشبيه ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من الدين بالغيث العام الذي يأتي الناس في حال حاجتهم اليه وتشبيه السامعين له بالارض المختلفة والاول وهو تشبيه الدين بالغيث تشبيه المعقول بالمحسوس والثاني وهو تشبيه الناس بالارض المختلفة تشبيه محسوس بمحسوس قال ويحتمل أن يكون تشبيها واحدا من باب التمثيل أي تشبيه صفة العلم الواصل الى أنواع الناس من جهة اعتبار النفع وعدمه بصفة المطر المصيب أنواع الارض من تلك الجهة وقوله وذلك مثل من فقه في دين الله الخ تشبيه آخر ذكر كالنتيجة للاول ولبيان المقصود منه . اه وهذا الاحتمال الثاني هو الاجزل لان وجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلة باعتبار النفع في قبول المحل لما يصل اليه من الخير مع

ظهور أماراته وانتشارها على وجه عام الفائدة وعدم الانتفاع وعدم القبول ولا يخفى ان هذه الهيئة منتزعة من أمور متعددة واعتبار الهيئات المتعددة المركبة في التشبيه له الوقع الحسن في النفوس

قال الشيخ عبد القاهر في قول الشاعر :

وكان اجرام النجوم لوامعا درر نثرن على بساط ازرق

لو قلت كان النجوم درر وكان السماء بساط ازرق كان التشبيه مقبولا لكن أين هو من التشبيه الذي يريك الهيئة التي تملا النواظر عجبا وتستوقف العيون وتستنطق القلوب بذكر الله من طلوع النجوم مؤتلفة متفرقه في اديم السماء وهي زرقاء زرقتها بحسب الرؤية صافيه والنجوم تبرق وتتلالا في اثناء تلك الزرقة ومن لك بهذه الصورة العجيبة اذا جعلت التشبيه مفردا

ومن هنا قال الامام المازري : الحديث من بديع الايجاز والبلاغة ومن بديع التشبيه والتقسيم فانه جعل اقسام الارض ثلاثة اثنان محمودان وهما الاولان ـ يعني النقيه الطيبه والاجادب ـ ثم أتى بكلام واحد يتضمن ثلاثة اثنان محمودان وذلك قوله عليه الصلاة والسلام فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم فهذان مثلان للمثالين الاولين على ترتيبهما في التقديم والتاخير فالاول هو الذي انتفع به في نفسه وعلم غيره مثل الارض التي قبلت الماء فانتفعت في نفسها بالري والتروي وانتفع الناس برعي ما انبتت . والثاني وهو الذي حفظ وتحمل ولم يفتح له بالتفقه فيه وبلغه غيره مثل الارض التي لم تقبل الماء ولكنها امسكته لمن شرب منه . والثالث وهو الذي لم يعمل بما بلغه ولا قبله ولم يرفع به رأسا فهو كالارض التي هي قيعان لا تنبت و لاتمسك

فانت ترى ان المازري في هذا التقسيم الذي نزل عليه الفاظ الحديث اعتبر ان الحديث اشتمل على اقسام ثلاثة في المشبه والمشبه به . وفي كلام الامام النووي ما يويد كلام المازري فقال النوع الثاني من الناس لهم قلوب حافظة لكن ليست لهم قلوب ثاقبة ولا رسوخ لهم في العلم يستنبطون به المعاني والاحكام وليس عندهم اجتهاد في الطاعة والعمل بالعلم فهم يحفظون حتى ياتي طالب محتاج متعطش لما عندهم من العالم فياخذه منهم فينتفع به . اه قال الابي : والى هذا ينظر قوله صلى الله عليه وسلم رب حامل فقه الى من هوأ فقه منه

ولكن كل من المازري والنووي لم يبين مأخذ القسم الثاني في المشبه من الحديث

قال في المصابيح فان قلت ليس في الحديث تعرض الى القسم الثاني وذلك انه قال في الحديث فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم وهذا القسم الاول ثم قال ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي ارسلت به وهذا هو القسم الثالث فاين القسم الثاني ؟

قال اجيب عن ذلك باحتمال ان يكون ذكر من الاقسام اعلاها وادناها وطوي ذكر ما بينهما لفهمه من اقسام المشبه به المذكورة لولا

وقال الكرماني ويحتمل لفظ الحديث لتثليث القسمة في الناس بان يكون قوله نفعه صلة موصول محذوف فيقدر قبل لفظة نفعه كلمة من بقرينة عطفه على من فقه فيكون تقدير الكلام ذلك مثل من فقه في دين الله ومن نفعه ما بعثني الله به ، كما في قول حسان بن ثابت رضي الله عنه :

امن يهجو رسل الله منكم ويمدحه وينصره سواء

كانه قال ومن يمدحه وينصره سواء . قال فان قلت ما وجه حذف من ؟ قلت اشعارا بانهما في حكم شيء واحد في كونه ذا انتفاع في الجملة كما انه لم يعطف اصاب في الاجادب ، (في المشبه به)

قال : وعلى هذا الجواب تكون الاقسام الثلاثة مذكورة ويكون قوله من فقه في دين الله هو القسم الثاني ومن نفعه الله فعلم وعلم هو القسم الاول ومن لم يرفع بذلك راسا هو الثالث وفيه لف ونشر غير مرتب اهـ

وهذا الجواب بمنع ان يكون القسم الثاني غير مذكور .

ثم هذا الجواب مخالف لكلام المازري الذي جعل الاقسام الثلاثة على الترتيب ولكن لم يظهر وجه ماخذ القسم الثاني من كلام المازري . قال الابي تعليقا على كلامه القسم الثاني لم يذكر في الحديث ولكنه في ضمن الاول ويدل عليه باللزوم قال ولعل هذا هو الايجاز والبلاغة التي اراد المازري

وهذا الذي ذكره الابي هو موافق للجواب الاول الذي نقلته عن المصابيح غير ان الابي جعل القسم الثاني في ضمن القسم الاول ويشير اليه باللزوم وصاحب المصابيح المظهري جعل الاشارة اليه من المشبه به مع اتفاقهما على ان اقسام المشبه به ثلاثة واقتصر في المشبه على قسمين . وهو الذي يدل عليه كلام الخطابي حيث قال هذا مثل ضرب لمن قبل الهدى وعلم ثم علم غيره ومن لم يقبل هدى الله . وهو صريح كلام الطايبي حيث قال القسمة الثنائية هي المتصورة فالمذكور في الحديث الطرفان العالي في الاهتداء والعالي في الضلال وطوي غيرهما . قال في العمدة وهو الصواب

وسلك القرطبي مسلكا آخر فذكر ان الحديث اشتمل على مثلين وفي كل مثل طائفتان الاول الطائفة الاولى منه العلماء العاملون المعلمون فهم بمنزلة الارض الطيبة والكل ممدوح والطائفة الثانية منه الجامعون للعلم الذين لم يتفقهوا فيه بيدانهم ادوه لطالبه فهؤلاء بمنزلة الاجادب والكل ممدوح في الجملة قال عليه الصلاة والسلام نظر الله امرأ سمع مقالتي فاداها كما سمعها . وانما جمع في المثل بين الطائفتين المحمودتين لاشتراكهما في الانتفاع بهما

والمثل الثاني الطائفة الاولى منه من دخل في الدين ولم يسمع العلم او سمعه ولم يعمل به ولم يعلمه لغيره ومثلها من الارض السباخ واشار اليها الحديث بقوله صلى الله عليه وسلم : من لم يرفع بذلك راسا . والطائفة الثانية منه من لم يدخل في الدين اصلا بل بلغه فكفر به ومثلها من الارض الملساء الملساء واشار اليها الحديث بقوله صلى الله عليه وسلم ولم يقبل هدى الله الذي جئت به . وكل من النوعين مذموم

والسباخ والملساء في كلامه اخذهما من قوله عليه الصلاة والسلام قيعان

وهذا الوجه على ما فيه من الحسن ظاهر عليه التكلف وان اختاره الحافظ ا ن حجر في الفتح

وظاهر الحديث انه طوى القسم الثاني لعلمه من التركيب وقصده صلى الله عليه وسلم من ذكر الاعلى والادنى ترغيب الناس في اعلى المقامات ، اشرف الصفات وهي حالة التفقه في الدين والاخذ من علم الشريعة باوفر نصيب وتعليم الناس ما ورثه العلماء من الرسول الكريم والاهتداء بهداه حتى يكونوا مثال الاستقامة والتقوى والتحذير والترهيب من ادنى الحالات وهي حالة الاعراض والضلال

وهذا الحديث الشريف تضمن امورا لها من الشان والاعتبار المقام الاسمى

الاول — ان ما بعث به صلى الله عليه وسلم هدى وعلم

الثاني — أن رسالته صلى الله عليه وسلم رحمة للناس

الثالث — ان شريعة الاسلام سهلة المآخذ صافية المورد عذبة المساغ

الرابع — ان اكمل صفات المسلم المعرفة والنفع والعمل

الخامس — ان اقبح ما يكن عليه الانسان الاعرض وعدم قبول الهدى

السادس — فضل من تفقه في دين الله وارشد الناس فعلم وعلم فحسنت سريرته وحمدت سيرته وعمل بما علمه الله فيما بينه وبين خالقه وفيما بينه وبين نفسه وفيما بينه وبين الناس فكان علمه باعثا له على العمل ولم يتركه جاريا مع هواه .

قال ابو اسحاق الشاطبي في الموافقات :

العلم المعتبر شرعا اعني الذي مدح الله ورسوله اهله على الاطلاق هو العلم الباعث على العمل الذي لا يخلي صاحبه جاريا مع هواه كيفما كان بل هو المقيد لصاحبه بمقتضى تعاليمه الحامل له على قوانينه طوعا او كرها

السابع — فضله صلى الله عليه وسلم على هذه الامة المهدية فعلم الناس ما يوصل الى رضى الله وهداهم الى طريق السعادة ورغبهم في الصالحات وبشرهم بمضاعفة الحسنات وان العمل القليل في طاعة الله له الثواب الجزيل كما جاء في حديث التسبيح الذي ختم به البخاري هذا الصحيح من قول الرسول الكريم كلمتان حبيبتان الى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم

الجايزة الشعرية

جاءنا من بعض القرآء ما يتضمن انه طالع في الجرايد اليومية جايزة شعرية لمن يفوز في مسابقة بين ادباء المملكة التونسية

وابدى اقتراحا لرجال اللجنة الفنية بان ينظروا في امكان جعل الكتابة مطبعية وان تكون اسماء اصحاب القصائد مخفية حسب المتعارف في مثل هذا الموضوع

فنشرنا له هاته الفكرة التي لا باس بها (المجلة)



صفحة من تاريخ تونس

متى كان ظهور الطباعة

بالاحرف العربية في تونس

بقلم العلامة المؤرخ امير الامراء سيدي
محمد بن الخوجه مستشار الحكومة التونسية

لمبتكر فن الطباعة فضل على العالمين لانها حفظت علوم الاقدمين وءاثارهم من التلاشي واعانت على توسيع ميادين الثقافة ونشر نور العلم بين كافة الشعوب والاقوام ولكن من هو الرجل الاول الذي انتبه لايجاد طريقة للكتابة بالطباعة ؟ لا جرم ان معرفة اسم ذلك الرجل ليست بالشيء الميسور لان الطباعة على الحجر كانت موجودة من عهد بابل واشور انما الشيء الصحيح الذي اثبته التاريخ هو ان فضل تهذيب الطباعة المعروفة بتمكين الطابع من اخراج مطبوعات متعددة ومتماثلة من نص واحد في وقت واحد ترجع مزيته لرجل اروباوي اسمه يوحنا كوتنبير من رجال القرن الخامس عشر للميلاد والتاسع للهجرة الشريفة فهذا الرجل توصل بعد ابحاث وجهود للحصول على تلك الغاية وما لبث مشروعه لعظيم فائدته ان صار عموميا بين اهل اروبا وتعلمه الناس في كل بلاد ونسجوا على منواله وتوسعوا في اساليب تحسينه واتقانه الى ان بلغوا في فن الطباعة منتهاه . واول ما طبع باروبا من الكتب اسفار التوراة باللغة اللاطينيه .

هذا هو اصل الطباعة باروبا واما الطباعة بالاحرف العربية فهي وليدة المتقدمة ظهرت لعالم الوجود في اوائل القرن السادس عشر للميلاد ونحن في اواسط القرن العشرين واول ما طبع في ذلك كتاب مزامير داود عليه السلام بمدينة جنوى عام ١٥١٦ ثم باشروا باشارة البابا طبع كتب الحكمة عند العرب من ذلك كتاب النجاة للشيخ الرئيس ابن سينا (١) طبع بالاحرف المعدنية

---

(١) هذه الطبعة النادرة توجد منها نسخة بخزانة جامع الزيتونة تحت عدد ٥٢١٩ بدفتر الكتب

بمدينة رومه عام ١٥٩٣ (١) ورغم تكرر طبع الكتب باللغة العربية مدى القرنين السابع عشر والثامن عشر (الحادي عشر والثاني عشر للهجرة) بباريس وروما ولندرة وليون ولبزيغ ومجريط وغيرها من عواصم اروبا فان العالم الاسلامي لم يقبل يومئذاك على الطباعة (٢) ولعلهم كانوا يتحاشون من ذلك اتقاء تلاشي مسودات الاوراق وهي لا تخلو من ءايات كريمة او احاديث شريفة او غير ذلك من الاسباب التي اساسها التورع او التمسك بما كانت عليه صناعة الوراقة والنسخ من الازدهار في عصر السلف الصالح مع انتشار تآليفهم في كافة البلاد قبل ان يعم الطبع جهات المعمورة (٣) وبالتالي لم يكن في وسعهم الا الركون للاستفادة من محاسن الطباعة وكان بمقدمة الامم الاسلامية في ذلك السبيل البلاد المصرية ومصر كانت ولا زالت ان شاء الله منبع النور والعلم المضيء فاحدثوا على عهد محمد علي باشا وبامره جريدة الوقائع المصرية وطبعوا كتبا كثيرة لا سيما في التاريخ والادب وشبه ذلك قبل الشروع في طبع كتب الدين وعلوم الشريعة . وبمصر اقتدت تونس وتونس هي بيت القصيد

كانت الايالة التونسية عند وفاة المشير احمد باي متهيئة للسير في مسالك التمدن العصري الذي شاهد سمو الباي محاسنه مباشرة اثناء رحلته لباريس في اواخر عام ١٢٦٢ واقتبس من عناصره الاسس الاولى لنظام دواليب الدولة التونسية فلما ارتقى بعده المشير الثاني محمد باي لكرسي الامارة زاد خطوة في طريق الرقي الكتابي بالايالة حيث قرر في الاول اتخاذ مطبعة حجرية لتعميم اوامره ونواهيه استحضر ءالاتها من باريس وفقا لما كان في عزم سلفه وعاقه حضور اجله عن انجازه واول ما طبع بهذه المطبعة الحجرية لائحة تراتيب داخلية ثم بدا له بعد حين التوسع في هذا المشروع فسعى لجلب احرف معدنية مع الاجهزة التابعة لها من دار الطباعة بباريس وفيما بين ذلك ادركه اجله المحتوم وصعد اثره الكرسي الحسيني اخوه المشير الثالث محمد الصادق باي فاحدث جريدة الرائد

(١) طبع برومه ايضا قبل كتاب النجاة بعام اي في سنة ١٥٩٢ متن الاجروميه بالمطبعة الحجرية وقفت على ذلك باحدى خزائن الكتب بباريس وهذه الطبعة مقدر ثمنها بفهرس صاحبها بثلاثمائة وخمسين فرنكا فليتامل .

(٢) ينبغي ان لا ننسى ان البدع من كل نوع كانت محضورة بين المسلمين ناهيك ان قاضي مكة المكرمة كان يحكم في المائة العاشرة بجلد شارب قهوة البن وكان المحتسب بتونس يعاقب النسوة اللاتي يلبسن الجوارب (كلاسط) في اواسط القرن الماضي .

(٣) اعتنى بعضهم بضبط مؤلفات جلال الدين السيوطي وقسمها على عدد ايام عمره فاصاب كل يوم منها كراس ونيف ولا ينبغي لمن لم يتأت له الوقوف على مؤلفات السيوطي أن ينكر صحة هذه الاحصائية فان السيوطي من اوفر العلماء تاليفا في الاسلام ليس فقط في زمنه بل قبله وبعده ايضا ومثله واكثر منه صلاح الدين الصفدي فانه كتب اكثر من خمسمائة تاليف منها كتاب الوافي بالوفيات ترجم فيه لاكثر من اربعة عشر الف فاضل ولا توجد منه نسخة كاملة باحدى خزائن الكتب المعروفة بالعالم ونسخة جامع الزيتونة اقلها نقصا حيث احتوت على واحد وعشرين جزأ من الستة والعشرين التي كتبها المؤلف رحمه الله .

التونسي (١) التي اعطى امتيازها لاحد تجار الاجانب ولكنه خص قسما منها بنشر الامور الرسمية وجعلها لنظر رئيس المجلس البلدي وناط رئاسة تحريرها بلياقة الاستاذ الشيخ محمود قابادو ثم بعد صدور بضعة اعداد منها ابطل منحة الامتياز المشار اليه وجعلها والمطبعة الرسمية بما اشتملت عليه من الاجهزة والاحرف المعدنية من حقوق الدولة التونسية وحدها وكانت المطبعة يومئذ بالحفصيه (٢) واقلام ادارتها بدار العشرة (٣) حيث مقر المجلس البلدي في ذلك الزمان ولم يمض غير زمن قصير حتى اقبل الناس على هذا المشروع الجديد وتسابقوا للاستفادة من النتائج الناشئة عن الصحافة والطباعة وسعوا لنشر بعض الكتب في الادب والتاريخ واللغة ثم طرقوا باب الحديث والتوحيد والتصوف والفقه الخ واول ما طبع من ذلك مجموعة قوانين دولية ثم جدول في المقابلة بين التواريخ للشيخ حسن لازاغلي البوني اسماه البهجة الحسينية في التواريخ الحالية (٤) ثم كتاب سلوان المطاع لابن ظفر وكتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك لابن زيان ثم تسلسل الطبع والنشر للكتب من كل علم وفن ولكنه

---

(١) صدر اول عدد من الرائد التونسي يوم الاحد في ٤ محرم ١٢٧٧

(٢) دار الحفصية المنتصبة بقسم منها ادارة الغابة في هذا الزمان كانت مصنعا للمدافع في العصر الحفصي وفي عهد الدولة المرادية والدولة الحسينية الى مدة المشير احمد باي كما كانت تحتوي على معمل لضرب السكة في الزمن القديم وكما كانت ايضا محجرا صحيا اثناء ظهور الطاعون بتونس في القرن الماضي وبعد ان انتصبت بها المطبعة الرسمية نحو ربع قرن انتقلت هذه المطبعة للمحل الذي كان اصطبلا لسمو الباي ببطحاء القصبة (حيث خزنة المكاتيب العامة في هذا الزمان) ومنه انتقلت في عام ١٣١٩ لدار الداي الملاصقة لدريبة الدولاتلي وما زالت بها الى هذا اليوم

(٣) دار العشرة هي الدار المعروفة لهذا الزمان باسم « دار حسين » (هو الوزير امير الامراء حسين المملوك مستشار المعارف كان - توفي سنة ١٣٠٤) وبها مساكن ودواوين الجنرال القائد الاعلى للجيوش الفرنسوية بتونس وانتسابها قديما لعدد العشرة يشير لعدد اعضاء المجلس البلدي الذين كانوا يجتمعون بها تحت رئاسة المرحوم حسين المذكور اعلاه وكانت هذه الدار قبل ذلك من املاك البائليك وتعرف اذاك باسم دار اسماعيل كاهية من وزراء المولى علي باي الثاني المتوفى عام ١١٩٦ وكانت في الزمن المتقدم عن ذلك مسكنا لعثمان داي وفي عهد الدولة المرادية وقع تهذيبها بالنقش حديدة البديعة المزدان بها صحنها وجدراناها وكانت في مدة الدولة الحفصية دارا للضيوف فيما روته بعض الاخبار وهي وما جاورها من الابنية القديمة كانت قصورا للامراء من بني خراسان في المائة السادسة وما زال بجوارها بقية من ءاثارهم وكثير من الكتاب يخبطون خبط عشواء عند التعريف بتاريخ هذه الدار والجرائد تنقل عنهم ما كتبوا بدون بحث ولا تعقيب وهذا هو الذي دعاني لانتهاز هذه الفرصة لذكر خبرها الصحيح باختصار والله مقلب الليل والنهار

(٤) هو عبارة عن جدول للمقابلة بين التواريخ الحالية اصدره واضعه في مفتتح كل سنة قمرية من تاريخ ظهوره في سنة ١٢٧٨ الى سنة ١٢٩٠ وفي العام التالي اعتنى صاحبه بتوسيعه وتهذيب اساليبه ووافق ذلك ولاية الوزير خير الدين مسند الوزارة الكبرى فاتخذ المؤلف لتاليفه اسما جديدا مقتبسا من اسم الوزير خير الدين حيث اسماه النزهة الخيرية وهذه استرسل ظهورها بانتظام من تاريخ نشاتها حتى عام ١٣١٨ وبعده انقطع طبعها لوفاة صاحبها في العام المذكور فظهرت باثرها في عام ١٣١٩ الرزنامة التونسية لكاتب الحروف ودام صدورها حتى عام ١٣٣٥

لم يقع طبع جريدة عربية اخرى في مطبعة الرائد قبل سنة ١٣٠٥ (١) واليك باثر هذا قائمة ما تيسر لي جمعه من اسماء الكتب العربية التي طبعت بالمطبعة الرسمية التونسية من عام ١٢٧٧ الى عام ١٣٠٠ هذا ولم نسع للبحث عما طبع بعد ذلك لتعدد المطابع العربية واستغراق عدد ما طبع بها من الكتب في هذا القرن وانا على يقين انه فاتني الوقوف على كتب اخرى مما طبع بالمطبعة الرسمية في القرن الماضي وعسى ان يكون هذا التنبيه باعثا للكشف عن اسماء تلك البقية بفضل من توفرت لديهم الدواعي في هذا المقام لاتحاف هذه المجلة او غيرها من الجرائد السيارة بتلك الضالة المنشودة قياما بخدمة العلم والتاريخ

(فمما طبع في عام ١٢٧٧)

١ — مجموعة قوانين تونسية

(ومما طبع في عام ١٢٧٨)

٢ — البهجة الحسينية في التواريخ الحالية للشيخ حسن لازاغلي البوني - توفى عام ١٣١٨

(ومما طبع في عام ١٢٧٩)

٣ — كتاب ساوان المطاع في عدوان الابناع لابي هاشم محمد بن ابي محمد بن محمد بن ظفر المكي - توفى عام ٥٩٨

٤ — كتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك للامير موسى بن يوسف ابي حمو بن زيان العبد الوادي - توفى عام ٧٩١

٥ — مفاوضات المجلس الاكبر .

٦ — ختم في الحديث للشيخ صالح النيفر - توفى عام ١٢٩٠

(ومما طبع في عام ١٢٨٠)

٧ — مناقب الايمة الاربعة للحريفيشي والشعراني .

٨ — لوعة الشاكي ودمعة الباكي لصلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي - توفى عام ٧٦٤

٩ — الواسطه الى معرفة مالطه وكشف المخبا عن فنون اروبا لاحمد فارس الشدياق

(١) في عام ١٣٠٥ ظهر العدد الاول من جريدة اسبوعية سياسية ادبية باسم « الحاضرة » لمديرها النابغة المرحوم السيد علي بو شوشة (كان يحسن خمس لغات فهما وتفهيما وقراءة وكتابة مع اللغة العربية) شارك في تاسيسها نخبة من الشبان منهم صاحبنا جميل الذكر الذي مات شبحه ولم يمت ولن يموت اسمه السيد البشير صفر والفقيه الحقوقي الضليع الشيخ صالح عباس وكاتب هذه الحروف وغيرهم وكان انجاز ذلك المشروع بمساعدة جميل الذكر العلامة مسيو ريني ملي الوزير المقيم والى حصافة رايه وسداد تدبيره ترجع مزية تاسيس معهد ابن خلدون بتونس

توفي عام ١٣٠٥

١٠ - كتاب الموطا للامام مالك بن انس رضي الله عنه توفي عام ١٧٩

(ومما طبع في عام ١٢٨١)

١١ - ديوان سيدنا حسان بن ثابت رضي الله عنه - توفي عام ٥٤

١٢ - حاشية علي قطر الندا للشيخ حسن بن عبد الكبير الشريف - توفي عام ١٢٣٣

(ومما طبع في عام ١٢٨٢)

١٣ - كتاب كنز فنون الضباط الصغار لاحمد المورالي - توفي عام ١٣١٩ .

١٤ - كتاب خدمة ضباط عسكر التريس مثله

(ومما طبع في عام ١٢٨٣)

١٥ - الخلاصة النقية في امراء افريقية للشيخ محمد الباجي المسعودي - توفي عام ١٢٩٧

١٦ - شرح الرسالة السمرقندية لابي الليث السمرقندي - توفي عام ٨٦٠

(ومما طبع في عام ١٢٨٤)

١٧ - كتاب اقوم المسالك في معرفة احوال الممالك للوزير خير الدين - توفي عام ١٣٠٧

١٨ - شرح متن الاجرومية للشيخ خالد بن عبد الله بن ابي بكر الازهري - توفي عام ٩٠٥

١ - شرح المتن المذكور ايضا للشيخ محمد مجاهد الطنتدائي المشهور بابي النجا (١)

(ومما طبع في عام ١٢٨٥)

٢٠ - طبعة ثانية من مناقب الايمة الاربعة (انظر عدد ٧)

(ومما طبع في عام ١٢٨٦)

٢١ - كتاب المونس في اخبار افريقية وتونس للشيخ محمد بن ابي القاسم الرعيني القيرواني المعروف بابن ابي دينار - كان حيا في عام ١٠٩٢

٢٢ - كتاب تعليم المتعلم طريق التعلم لبرهان الدين الزرنوجي - من رجال القرن السادس (٢)

٢٣ - شرح وجيز لسكة الحديد من الحاضرة الى حلق الوادي وباردو لتيودور ده منتيس

(١) جاء في معجم المطبوعات العربية والمعربة ان المولف فرغ من تاليف هذه الحاشية سنة ١٢٢٣ وضبط لقبه بلفظ الطنتداعي ومثل ذلك في كتاب اكتشاف القنوع بما هو مطبوع

(٢) تكرر طبعه بالروسيا والمانيا والهند ومصر وتونس والاستانة نقلا عن طبعة تونس وترجم للغة اللاطينية . والمؤلف تلميذ صاحب الهداية برهان الدين الفرغاني

(ومما طبع في عام ١٢٨٧)

٢٤ – قطعة بها صفحات ٣٦٨ مما نشر بالرائد التونسي من كتاب الحلل السندسيه في الاخبار التونسيه للشيخ محمد بن محمد بن احمد بن مصطفى الوزير السراج - توفى عام ١١٤٩

(ومما طبع في عام ١٢٨٨)

٢٥ – حريدة عقد اللال في التوسل للنبي بالآل للشيخ محمود قابادو - توفى عام ١٢٨٨

٢٦ – طبعة ثانية من كتاب لوعة الشاكي ودمعة الباكي لصلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي - توفى عام ٧٦٤

(ومما طبع في عام ١٢٨٩)

٢٧ – شرح على متن الساغوجي (١) للشيخ محمد بيرم الثالث - توفى عام ١٢٥٩

٢٨ – تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية للشيخ محمد بن ابراهيم اللؤلؤي المعروف بالزركشي - توفى عام ٩٣٢

(ومما طبع في عام ١٢٩٠)

٢٩ – شرح العالم بستان للشيخ محمد بن الخوجه الاول - توفى عام ١٢٧٩

٣٠ – زواهر الكواكب لبواهر المواكب للشيخ محمد بن علي بن سعيد - توفى عام ١١٩٩

(طبع بعضه عام ١٢٩٠ وبعضه في عام ١٢٩٣)

٣١ – منهج السالك الى ألفية ابن مالك للشيخ علي بن محمد الاشموني - توفى عام ٩٠٠

٣٢ – متن الاجرومية للشيخ محمد بن محمد بن داود الصنهاجي المعروف بالاجرومي - توفى عام ٧٢٢

٣٣ – منظومة في قواعد العربية للشيخ عبد الله الشبراوي الشافعي - توفى عام ١١٧٢

(ومما طبع في عام ١٢٩١)

٣٤ – النزهة الخيرية في التواريخ الحالية للشيخ حسن لازاغلي البوني - توفى عام ١٣١٨ « انظر عدد ٢ من هذا الفهرس والحاشية التابعة له »

(ومما طبع في عام ١٢٩٢)

٣٥ – دفتر الكتب المحفوظة بخزانة المكتبة الصادقية المشهورة بالعبدلية بجامع الزيتونة

٣٦ – عقيدة الامام السيوطي المتوفى عام ٩١١ طبعت للحفظ بعنوان تلاميذ المدرسة الصادقية

(١) اسمه باكمله ايساغوجي بورفيريوس من علماء اليونان الذين دونوا علم المنطق ومنهم ايضا المعلم ارسطاطاليس صاحب حكم الحلقة المفرغة : العالم بستان .

٣٧ – مجموعة الاحاديث القضاعية مثله
٣٨ – باب ما يقال عند الكرب من الجامع الصحيح مثله

(ومما طبع في عام ١٢٩٣).

٣٩ – كتاب خاص الخاص لابي منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل بن محمد الثعالبي توفى عام ٤٢٩
٤٠ – شرح الاجرومية لعبد الرحمن بن علي بن صالح الماكودي - توفى عام ٨٠٧
٤١ – مولد خير الانام للشيخ ابراهيم بن عبد القادر الرياحي - توفى عام ١٢٦٦
٤٢ – شرح صغرى الصغرى للشيخ محمد بن يوسف السنوسي الحسني - توفي عام ٨٩٥
٤٣ – قصيدة بانت سعاد (١) لسيدنا كعب بن زهير رضي الله عنه - توفى عام ٢٤
٤٤ – نظم المرشد المعين على الضروري من علوم الدين لابي محمد عبد الواحد بن عاشر - توفى عام ١٠٤٠
٤٥ – متن الجزرية لشمس الدين محمد بن عمر الجزري - توفى عام ٨٣٣
٤٦ – مختصر الدر الثمين والمورد المعين للشيخ محمد بن احمد بن محمد الفاسي الشهير بميارة - توفى عام ١٠٤٨
٤٧ - طبعة ثانية (٢) من كتاب مجموع الافادة في علم الشهادة للشيخ محمد البشير التواتي - توفى عام ١٣١١
٤٨ كتاب نور الايضاح ونجاة الارواح للشيخ حسن الشرنبلالي – توفى عام ١١٣٩

(ومما طبع في عام ١٢٩٤)

٤٩ – كتاب تعليم القاري للشيخ محمد بن حسن البارودي – توفى عام ١٣٠٤
٥٠ - ديوان الشيخ محمود قابادو – توفى عام ١٢٨٨ (طبع بعضه في عام ١٢٩٤ وبعضه في العام التالي)

(ومما طبع في ١٢٩٥)

٥١ – شرح الاربعين النووية لسعد الدين التفتازاني – توفى عام ٧٩٢
٥٢ – القسطاس المستقيم في اختلال الحكم بنفي جنسية القايد نسيم للوزير حسين مستشار المعارف كان بتونس – توفى عام ١٣٠٤

---

(١) هذه القصيدة طبعت مع ترجمتها لكثير من اللغات الاروباوية وتكرر طبعها بهولاندة وفرنسا والمانيا وانكلتيرة وايطاليا ومصر والهند والشام وتونس والجزاير مع شروح وحواشي ومعلوم ان النبي صلى الله عليه وسلم خلع على قائلها بالبردة الشريفة التي كانت فوقه وفي كتب السير ما يفيد ان معاوية بذل فيها لكعب عشرة ءالاف درهم فابى كعب بيعها واحتفظ بها الى ان مات قالوا انها بيعت في ايام ابي جعفر المنصور باربعين الف درهم وبقيت في خزائن بني العباس الى زحفة المغول على بغداد والله اعلم بما ءالت اليه بعد ذلك .

ان الرسول لسيف يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

(٢) لم نقف على الطبعة الاولى التي طبعت فيما يظن خلال العقد التاسع من القرن الماضي حيث كان المؤلف وهو من اهل العلم - يباشر مهمة التصحيح بالمطبعة الرسمية التونسية مع تدريس فن القراءات بجامع الزيتونة .

٥٣ – رسالة اخرى له في نازلة القائد نسيم قابض الدولة التونسية كان (مات ببلد القرنه عام ١٢٩٠)

٥٤ – مفاوضات مؤتمر القسطنطينية في المسالة الشرقية لمردخاي شمله

٥٥ – اطلس في الجعرافية لمحمد بن حميده الكاتب كان بالمطبعة الرسمية

٥٦ – بلوغ الاماني في مناقب الشيخ احمد التجاني لاحمد اديب المكي – توفى عام ١٣٥٢

(ومما طبع في عام ١٢٩٦)

٥٧ – الاجنة الدانية الاقطاف بمفاخر سلسلة السادة الاشراف للشيخ محمد بن عثمان السنوسي – توفى عام ١٣١٨

(ومما طبع في عام ١٢٩٧)

٥٨ – لقط الدرر للقاضي الشيخ محمد السنوسي بن مهنيه الكافي – توفى عام ١٢٥٥

٥٩ – درر العروض لحفيده الشيخ محمد بن عثمان السنوسي – توفى عام ١٣١٨

(ومما طبع في عام ١٢٩٨)

٦٠ – البدرية للامام جعفر البرزنجي – توفى عام ١١٧٠

٦١ – الدر المنظوم في كيفية كتب الرسوم للشيخ علي ابن الشيخ صالح النيفر – توفى عام ١٣٣٢

٦٢ – المواهب الصمدية لكشف لثام السمرقندية للشيخ الطاهر بن مسعود – توفى عام ١٢٣٤

٦٣ – المطلع في الفلك للشيخ محمد بن سعيد السوسي – توفى سنة ١٠٤٠

٦٤ – الدر الثمين والمورد المعين للشيخ محمد بن احمد بن محمد الفاسي الشهير بميارة توفى عام ١٠٤٨ (طبع بعضه في عام ١٢٩٨ وبعضه في العام التالي)

٦٥ – الجوهر المرتب في العمل بالربع المجيب للشيخ محمد المكي بن عزوز – توفى عام ١٣٣٤

٦٦ – قطعة من النصف الاول بها ٢٩٦ صفحة مما نشره الرائد التونسي في عام ١٢٩٨ من كتاب مسامرات الظريف بحسن التعريف للشيخ محمد بن عثمان السنوسي – توفى عام ١٣١٨

(ومما طبع في عام ١٢٩٩)

٦٦ – حاشية على قرة العين لشرح ورقات امام الحرمين للشيخ محمد بن حسن الهده – توفى عام ١١٩٧ وبهامشه الشرح المذكور للشيخ محمد بن محمد بن عبد الرحمن الحطاب من رجال القرن الحادي عشر

٦٧ – مصرع ارباب العذر في التوسل باهل بدر للشيخ احمد اديب المكي توفى عام ١٣٥٢

(ومما طبع في عام ١٣٠٠)

٦٨ – مجموعة القوانين التونسية الاولى في عصر الحماية

هذه جملة ما وقفت عليه في الموضوع الذي نحن بصدده ويرى الناظر ان اسماء المصنفات التي بهذا الفهرس جاءت متبوعة بتاريخ وفيات المصنفين والقصد من ذلك زيادة التوضيح والا فهو من باب لزوم ما لا يلزم وفي هذا القدر كفاية لمن قرن البداية بالنهاية

محمد بن الخوجه

تاريخ الهجرة المحمدية

والتاريخ بهـا

وردِ الينا هذا المقال الحافل من العالم الاديب الشيخ سيدي محمد المقداد الورتاني في تحرير تاريخ الهجرة النبوية الشريفة والتاريخ بها وصف فيه هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وما اشتملت عليه من الحوادث العظام والتشريع السامي والمنازل التي نزل فيها مع بيان الاوقات والايام والشهر وقد اشبع القول فيه عناية منه بمسالة اساسية في التاريخ الاسلامي لها اهميتها وقيمتها فجاء متمما لما سبق نشره في العدد الممتاز الصادر في المحرم عام ١٣٥٨ من المجلد الثالث

المقدمـة

(١) التاريخ زمن معين ينسب اليه ما بعده وما قبله ـ

وتعيين الازمنة وضبط الاشياء بها امر لازم في نظام الحياة تتعلق به النفوس ويحتاجه الاجتماع البشري وتتوقف عليه الاعمال ويكون المرء على بينة فيما يهمه من شئون دينه ودنياه وحتى لا يبقى همجا او يترك سدى

فالتاريخ وتعيين الاوقات ضروري في الحياة فاوقات الانسان منها ما هو لعمله في واجبات معاشه ومنها ما هو لراحته ومنها ما هو مجبور عليه بالنوم الطبيعي

وعندما اضطر الانسان الى ضبط اوقاته وجد المعين الاكبر له على ذلك هو الشمس في طلوعها وغروبها واثناء سيرها فيما بينهما ثم القمر ليلا وكواكب المنازل كذلك

وقد توسع العقل في تجزئة اوقات الشمس « والحاجة ام الاختراع » فاستعمل لهاته الغاية ظلال الاشباح وانتفع بادوار القمر هلالا وبدرا وبرصد الكواكب في ظهورها بعد الغروب وعند الفجر وفي غروبها فيه وتنسب اليها الامطار (الانواء)

واخترع المنقالة التي لا يخلو منها لمعرفة اجزاء الزمان جيب انسان او مكان وهاته الكواكب في الهداية والحساب من لطف الله بمخلوقاته ومن النعم الكبرى للعمران

(١) فزمن الهجرة تاريخ اسلامي ـ وهذا الزمن مقصود لذاته ـ ومقصود لضبط غيره به
ويطلق التاريخ على تحديد وقت منتسب لغيره اي الى زمن معين قبله و بعده كذكر الايام والشهور والاعوام في الرسائل منتسبة الى الهجرة او الميلاد او غير ذلك
والتاريخ علم مخصوص له مبادي ١٠ كسائر الفنون ـ فيقال علم التاريخ كما يقال علم النحو مثلا

وقد بين تعلى ما انعم به لما هو ضروري في العالم بقوله :

هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب - ويدخل في ذلك الشهور والايام والساعات والدقائق وسائر اجزاء الزمان ذكل ذلك منتفع به

يسألونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج

فاذا طلعت الشمس هب كل حي الى نيل معاشه بالطرق التي يسره الله لها وربما خف الكفاح العملي في وسط النهار او يتوقف ولكن في الحقيقة لا وقوف اذ اوقات الراحة فيها اعمال اخرى حيوية متنوعة ومن ذلك التفكير وهو اساس العمل

ومتى حنت الشمس للمغيب حنت الاحياء الى إراحة أعضائها وجوارحها وبمقدار ما يصفر قرص الشمس يتزايد الكلل وتضعف قوى الحيوان من كد النهار فتاخذ باسباب الرجوع والهجوع فتسكن اعضاؤها وتغيب عن الوجود كما تغيب الشمس عن هذا العالم وينقطع ضياؤها

وبما ان الاشعة من الشمس لا تموت تماما وتبقى منها عقب المغيب ذبالة في بعض الكواكب ليلا فكذلك الجسد الحيواني عند نموه وسكونه لا تفارقه النفس التي لا تموت في منامها وفي ذلك اشعار بعود الشمس ورجوع وجدان الانسان وفعلا ترجع الشمس من الغد حمراء صافية وتعود الى الحيوان حياته وقواه فياخذ كل منهما كعادته في الكد وهكذا الى ان يفرغ الامد والله الباقي بعد كل احد

والحيوان الاعجم يشارك الانسان في هذا المقام وله هداية والهام وقد تمالا البشر من قديم على تعيين اوقات يرجعون الى ضبط امورهم بها فاتخذوا هبوط آدم الى الارض زمنا ينسبون اليه ما بعده(١) ويتحدثون منه على ما قبله واتخذوا الطوفان زمن نوح كذلك ونار ابراهيم وبناء الكعبة ووفاة موسى وميلاد عيسى وعام الفيل وحرب الفجار وغير ذلك

والى الان يؤرخ عامة الناس في احيالهم بكسوف الشمس والزلزال وتناثر النجوم ووفود الجراد وعام الشر (الجوع)

ومن ذلك الحرب الكبرى عام ١٣٣٢-١٩١٤ والاحتلال الفرنساوي بتونس المعبر عنه عندهم بعام النصرى ١٢٩٨-١٨٨١

ولكن العام بالطوفان غير العلم بعام الفيل مثلا

فالتواريخ تكون احيانا معلومة للكافة واخرى لبعض دون آخرين

وقد سمى الصحابة رضوان عنهم الاعوام العشرة التي اقامها صلى الله عليه وسلم في المدينة من تاريخ هجرته الى عام وفاته باسماء مخصوصة للتمييز وضبط الاحول بها وسياتي ذلك في فصل التاريخ بالهجرة

---

(١) التاريخ من هبوط آدم واما بدء الكون وخلق الارض وعمرانها فزمانه غير معلوم ولا محدود – وقال علماء الطبيعة ان للكرة الارضية منذ كانت نارا مائعة الى الآن ثلاثمائة مليون سنة وان عمر الحيوان والنبات مائة مليون سنة .

تاريخ هجرة محمد صلى الله عليه وسلم

من مكة الى المدينة

بعد ثلاثة وخمسين عاما من عام الفيل الذي ولد فيه صلى الله عليه وسلم ١٢ بربيع الاول و ٢٠ افريل سنة ٥٧١ من ميلاد عيسى عليه السلام وبعد نبوءته صلى الله عليه وسلم وبدء الوحي بثلاثة عشر عاما وبعد الجهر بالدعوة للدين والصدع بأمر الرسالة بعشرة اعوام

حصل الاذن للرسول محمد عليه الصلاة والسلام بالهجرة من مكة لما بلغ ايذاء قومه له صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا الى حد اجماعهم على قتله فخرج ومعه ابو بكر ليلا وخفية الى غار (١) بجبل ثور وذلك في اواخر صفر ياتيهما بالقوت فيه عبد الله ابن ابي بكر ليلا ويريح عامر بن فهيرة غنم ابي بكر ليلا حول الغار لياخذا من البانها ويمحو آثار عبد الله ابن ابي بكر الذي كان ياتيهما ليلا باخبار مكة ويبيت عندهما ويدلج من الغد الى مكة

وبعد ثلاث سافرا يوم الاثنين غرة ربيع الاول وركب صلى الله عليه وسلم ناقته القصواء اشتراها من ابي بكر بمائتين واردف ابوبكر على ناقته تابعه عامر ابن فهيرة ليخدمهما وامدتهما بالزاد اسماء ابنة ابي بكر ذات النطاقين (٢)

وحمل ابو بكر معه جميع ماله وهو ستة آلاف درهم ـ واتخذوا لهما دليلا خريتا وهو عبد الله ابن اريقط وكان يومئذ غير مومن اتاهما في الموعد بعد ثلاث وسلك بهما شاطيء البحر الاحمر وتباعد عن الطريق العظمى وكثرة السابلة

(٣) وكان عبد الله المذكور عارفا بالطرق وقد وثقا به اذ صاحب الصناعة لا يخون فيها وعند ما مروا

---

(١) جبل الثور جنوب مكة على بعد اميال خمسة على الطريق البعيدة السهلة نوعا والسير فيها راكبا يتجاوز الساعة وعلى الطريق القريبة الوعرة ثلاثة اميال والصعود الى صخرة الجبل راجلا في طريق ملتوية يبلغ الساعة والغار الان له مدخل غربي وآخر شرقي يدخل اليه زحفا حيث اتساع المدخل نحو ثلاثة اشبار في شبرين فقط

(٢) سميت ذات النطاقين لانها شقت نطاقها وربطت باحد الشقين الجراب الذي اتت فيه بالسفرة « زاد السفر » للنبي صلى الله عليه وسلم عند خروجه من الغار ومعه والدها ابو بكر مهاجرين الى المدينة ـ والسفرة طعام المسافر ثم اطلقت على وعائه ثم على ما يوكل عليه

(٣) الدليل سلك بهم الى الساحل حتى عارض الطريق اسفل من عسفان ثم سلك اسفل امج وبعد ان اجاز قديد عارض الطريق ثم سلك الخرار ثم ثنية المرة ثم القفا ثم مدلجة لقف ثم استبطن مدلجة مجاج ثم مرجح مجاج ثم تبطن مرجح ذي العضوين ثم بطن ذي كشد ثم اخذ على طريق الجداجد ثم على الاجرد ثم ذا سلم من بطن اعداء مدلجة تعهن ثم على العبابيد ثم اجاز الفاجة ثم هبط العرج وهي من منازل الجادة بين مكة والمدينة ثم سلك من العرج على ثنية العاير عن يمين ركوبة حتى هبط بطن ريم ثم قدم قبا على بني عمرو بن عوف

بفديد طلبوا من صاحبة مركز هناك (مترجلة تطعم وتسقي المسافرين) وهي ام معبد عاتكة ان تبيعهم ما يقتاتون به فاعتذرت بفقدان ذلك فاستأذنها صلى الله عليه وسلم ومسح بيده الشريفة ضرع شاة هزيلة هناك فدرت (١) ببركته وحلبها غير مرة حتى اخذ الحاضرون كفايتهم وابقى من الحليب لابي معبد المتغيب مع شياهه

وبلغ صلى الله عليه وسلم قبا يوم الاثنين ثامن ربيع الاول حوالي الزوال والشمس اذ ذاك بينها وبين نقطة الاعتدال وراس برج الميزان واول الخريف « المسمى في القديم بالربيع » ساعات ١٤ وادراج ٧ وكان مدخل العام القمري وهو المحرم في ذلك التاريخ بيوم الخميس الموافق لليوم الخامس عشر من شهر تموز (جويلية) سنة ٦٢٢ مسيحية على حساب التقويم الصحيح للامير الفلكي الشهير الوغ بك حفيد هولاكو (٢) وعلى حساب غيره بالجمعة ١٦ جويلية فنزل صلى الله عليه وسلم في بني عمر وابن عوف بقبا ضيفا على كلثوم بن الهدم وصار يجلس للناس ويتحدث لهم في بيت سعد ابن خيثمة لانه كان عزبا ويقال لبيته بيت العزاب لان العزاب من اصحاب (٣) النبي صلى الله عليه وسلم ينزلون عنده فيه وامر كلثوم مولى له يسمى نجيحا ان ياتي لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالرطب والزمان كما علمت خريف فاتاه بقنو من ام جرذان فيه رطب منصف وفيه زهو وبنى صلى الله عليه وسلم يوم الثلثاء ٢١ من شهر سبتمبر « ايلول » مسجد قبا (٤) الذي اسس على التقوى من اول يوم فيه

(١) وقد كنت قلت في القصيدة المولدية المنشورة بالمجلة الزيتونية في ربيع الاول ومايه ١٣٥٨-١٩٣٩
بركاته درت بها لحليمة ❊ ولام معبد في العجاف لبان

(٢) الوغ بك ميرزا محمد تارا علي ابن شاه رخ بن تيمورلنك ولد سنة ٧٩٦ وتقلد الملك على سمرقند وهو من اعلم علماء الفلك وكان يعتقد صحة التنجيم

فالضعف البشري تغلب فيه على العلم والعقل فكان يرى من حساب طالعه انه سيقتل من يد ابنه عبد اللطيف ولاجل ذلك كان يذيقه انواع العذاب . ولامر اراده الله نشا عن ذلك ايغار لصدر ابنه فعمد هذا لقتل ابيه بيده سنة ٨٥٤

(٣) كان صلى الله عليه وسلم عندما تمت بيعة العقبة مع الانصار وطلبوا منه الهجرة اليهم امر اصحابه في مكة بالهجرة الى المدينة حيث فشا فيها الاسلام وله بها اثنى عشر نقيبا فخرجوا ونزلوا بالمدينة وما حواليها والكثير منهم بقبا ولم يبق احد من المسلمين بمكة عند خروجه صلى الله عليه وسلم منها الاعلي بقصد ارجاع الودائع الى اربابها ولحق به بعد ثلاث في قبا . والا بعض المستضعفين

(٤) وضع النبي صلى الله عليه وسلم اول حجر في قبلة قبا وثنى ابو بكر بحجر وثلث عمر بمثل ذلك ثم اخذ الناس في البنيان وكنت قلت في ميلاده صلى الله عليه وسلم بشهر ٢٠ افريل والشمس حلت برج الثور وفي خروجه من غار الثور بعد الاختفاء به مهاجرا الى المدينة وبنائه مسجد قبا في الاعتدال الخريفي والشمس حلت برج الميزان سابع البروج❊ ميلاده برج ثور بدء هجرته ❊ من غار ثور قبا برج الموازين❊ وذلك في القصيدة التي مطلعها : يا تونس الانس دار العلم والدين هل هبة منك عن دارين تغنيني .

وستنشر في الشهر القابل ان شاء الله بالمجلة الزيتونية .

قوم يتطهرون بالماء في الاستنجاء هداهم الله للنظافة الكاملة ووفقهم اياته الحلة الطيبة هذا على حساب يوليوس واما على حساب قريقوار فيوم ٢٣ واقام صلى الله عليه وسلم في قبا الى ان لحق به سيدنا علي كرم الله وجهه بعد ثلاثة ايام وقد تخلف لارجاع الودائع الى اربابها من منزل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقد كان امينا شهيرا بينهم اذ كل من كان عنده شيء يخشى عليه بمكة يضعه عنده

ورحل صلى الله عليه وسلم من قبا يوم الجمعة قاصدا المدينة وبينها وبين قبا نحو فرسخ وصلى الجمعة بالناس في منتصف الطريق برانوناء في بطن واد في مسجد بني سالم ابن عوف بين قبا والمدينة

وهي اول جمعة اقامها صلى الله عليه وسلم واول خطبة قالها فيها مطلعها : الحمد لله - احمده واستعينه واستغفره - وختامها - ولا قوة الا بالله العظيم

وكلما تعرض له اناس في طريقه يطلبون منه النزول عليهم او تعلقوا بزمام ناقته الا واجابهم بقوله اتركوها فانها مأمورة وكانت هي تجذب نفسها منهم وقد ارخى صلى الله عليه وسلم لها زمامها فلا يثنيها به .

ودخل المدينة بينما النسوة المخدرات على السطوح ينشدن ❁ طلع البدر علينا من ثنيات الوداع - وجب الشكر علينا : ما دعا لله داع - أيها المبعوث فينا ❁ جئت بالامر المطاع -

وفي المكان الذي بركت فيه الناقة اولا وثانيا والقت بجرانها الى الارض ورزمت (صوتت بدون ان تفتح فاها) - نزل صلى الله عليه وسلم واتخذ ذلك المكان مسجدا وبينه وبين مسجد قبا نحو ثلاثة أميال ونصف ووضع رحله عند ابي ايوب خالد بن زيد بن كليب الانصاري وقال لمن طلب النزول عنده - المرء مع رحله - واستقر صلى الله عليه وسلم بالطبقة السفلى تسهيلا للاجتماع بالناس ثم نقله ابو ايوب الى الطبقة العليا حتى لا ينزل عليه تراب او يصيبه مآء .

فاتضح بما تقرر ان الهجرة كانت في ربيع الاول وفي الاعتدال الخريفي في شهر ايلول « سبتامبر » وليست في المحرم ولا في تموز « جويلية »

هذا هو تاريخ الهجرة المحمدية والوقت الذي وقعت فيه .

ابتداء التاريخ بالهجرة المحمدية

في عام سبعة عشر من وصوله صلى الله عليه وسلم للمدينة المنورة تاسس التاريخ الاسلامي واعتبر من الهجرة النبوية على عهد سيدنا عمر ابن الخطاب الخليفة الثاني .

وقبل ذلك كان الصحابة رضوان الله عنهم يطلقون اسما على كل عام من الاعوام العشرة التي اقامها صلى الله عليه وسلم من وصوله لها الى يوم وفاته وكل اسم من تلك السنوات مشتق مما اتفق له صلى الله عليه وسلم في كل سنة منها .

فالسنة الاولى تسمى سنة الاذن والثانية سنة الامر بالقتال والثالثة سنة التمحيص - والرابعة سنة

الترفية - والخامسة سنة الزازال - والسادسة سنة الاستيناس - والسابعة سنة الاستغلاب - والثامنة سنة الاستواء - والتاسعة سنة البراءة - والعاشرة سنة الوداع - فكانوا يستغنون بذكرها عن عددها من لدن الهجرة - وقيت الاعوام السبعة التي بعد وفاته الى عام تاسيس التاريخ غفلا ليس لها اسم ولا مبدأ

في عام ١٧ ورد خطاب لسيدنا عمر من احد عماله وهو ابو موسى الاشعري يقول فيه : انه تاتينا منك كتب ليس لها تاريخ - كما رفع الى عمر صك محله (بكسر الحاء) شعبان فقال أي شعبان ؟ أهذا الذي نحن فيه أم الذي هو آت ؟ واستشار الصحابة في ذلك فقال له الهرمزان الفارسي الذي كان ملكا على الاهواز واسر واسلم على عهد سيدنا عمر واجرى لـه الفين واقامه في المدينة : ان للعجم حسابا يسمونه (ماه روز) وشرح له كيفية استعمال التاريخ - وماه معناه شهر وروز معناه اليوم - يعنون بذلك حساب الايام والشهور - وكان الهرمزان عند وصوله للمدينة وتحادثه مع سيدنا عمر يترجم بينهما ابو موسى الاشعري الذي كان يفقه الفارسية الى ان حضر المترجم فاستحسن الخليفة هذا الامر واذن باستعماله واهل فارس حضارتهم عتيقة ثم دارت الاراء في مبدا التاريخ بالولادة او بالنبوءة او بالهجرة او بالوفاة - فعمل الخليفة برأي سيدنا علي كرم الله وجهه وهو التاريخ بالهجرة التي علا بها شأن الاسلام وفرقت بين الحق والباطل وبين الخوف والامن وبين اخفاء شعائر الاسلام واعلانها ولما كانت الهجرة والوصول الى قبا في ثامن ربيع الاول والى المدينة في ثاني عشر منه وهو واقع في اثناء العام العربي الذي مبدؤه المستعمل عند العرب هو المحرم جعلوا مبدأ الحساب من غرة العام العربي التي سبقت الهجرة بشهرين وكسر فزادوا على يوم الهجرة تلك المدة وقد فعل ذلك النصرى من قبل - فان ميلاد المسيح سبق باسبوع غرة شهر ينايرالذي هو اول شهور العام الشمسي (١) ولما اتخذ الميلاد مبدأ للتاريخ المسيحي سنة ٣٢٥ م بعد ان كان التاريخ روميا (نسبة لرومة) (٢) اعتبروا الحساب الميلادي من غرة يناير الذي هو اول العام

---

(١) قد ذكر اهل العناية بالتاريخ والحساب ان ميلاد عيسى يظن انه لم يكن في ٢٥ ديسمبر كما يقولون حيث ورد ان الرعاة كانوا في ميلاده مقيمين في البرية ليلا وهم في فصل الشتاء لا يقيمون ليلا في البرية - وقد كان اتفاقهم على اليوم المذكور بعد الاختلاف فيه بعد الميلاد بنحو مائتي سنة

(٢) تقويم الرومانيين القديم ٧٥٤ قبل المسيح وضعه رومولوس في مدة الجمهورية الاولى برومة به عشرة اشهر فقط ولما بلغ الخلل فيه الى ان صار الاعتدال الربيعي واقعا في الانقلاب الصيفي - اصلح الامير نوما حساب الشهور على مقتضى الحساب اليوناني وزاد شهرين احدهما سماه جانوا روس - (جانفي) واعتبره اول شهور العام والثاني سماه فبروا ريوس (فيفري)

وفي عام ٤٥ قبل المسيح اصلح جول سيزار حساب الشهور بعد ان كان فيها اضطراب وخلط وسمى الشهر السابع باسمه جوليوس « جويليه » وهي الثامن اوغستوس (اوت) جعله تذكارا للامبراطور اوغستوس

وفي سنة ٣٢٥ م - ١٠٨٩ رومية قرر الجمع الديني النيقاوي « في نيس » استعمال الاصطلاح -

الشمسي والغوا مدة الاسبوع السابق لشهر ينائر فهم يتخذون يوم الميلاد الخامس والعشرين من ديسمبر عيدا دينيا تذكارا لولادة عيسى ويحتفلون في اول ينائر راس السنة بصفته موسما اجتماعيا

وكان اليوم الاول من المحرم معظما عند ملوك العرب يقعدون فيه للهناء وقد اتخذه ملوك الاسلام موسما وان لم يكن بصفة عامة في المملكة التونسية وهذا ما يعد نقصا في الاعتبار والا فكيف يحتفل الامير بغرة العام العربي ويقبل التهاني من رجال دولته وشعرائه ويوزع فيه المسكوكات الجديدة المضروبة باسمه على قطع الذهب والفضة بتاريخ العام الجديد ولا تشاركه في ذلك كافة سكان مملكته حتى يكون موسما عرفيا عاما مراعاة لكونه غرة لعام قمري اسلامي واحتراما للهجرة التي وقعت في اثنائه وصار مبدا العام عنوانا لها وبما تقرر من كون مبدإ التاريخ هو الهجرة النبوية الواقعة في ربيع الاول سواء في يوم الاثنين الذي بلغ فيه صلى الله عليه وسلم الى قبا وهو الثامن او التاسع منه الذي بنى فيه صلى الله عليه وسلم مسجد قبا حول المدينة واقام هناك اياما ثلاثة فان العيد الرسمي للهجرة وتذكارها بالحساب الشمسي يكون في الاعتدال الخريفي ويكون يوم ٢٠ من افريل الذي ولد فيه صلى الله عليه وسلم عيدا لميلاده ايضا بالحساب الشمسي .

الجوليوسي في حساب الشهور واشترط لذلك جعل مبدأ التاريخ الشمسي ميلاد عيسى والغى التاريخ الروماني فعملت به كافة البلدان المسيحية الى سنة ١٥٨٢ ولم يعمل به الدانمارك والبروتستانت

وفي هذا العام ١٥٨٢ اذن البابا قريقوار الثالث باصلاح الحساب واعتبر الخامس من تشرين الاول « اكتوبر » خامس عشر منه لان حساب جوليوس فيه كسور زائدة على الواقع نشأ منها فرق عشرة ايام ولكي لا يحصل فرق في المستقبل فان موفى كل مائة سنة لا يكون كبسا الا في موفى المائة الرابعة على خلاف حساب يوليوس الذي يجعل الكبس كل رابع سنة ومن ذلك السنة المتممة لكل مائة وبذلك ازداد الفرق بين الحسابين : بيوم عند موفى سنة ١٧٠٠ وءاخر في موفى ١٨٠٠ ومثله في ١٩٠٠ فصار الفرق ١٣ يوما يسبق بها حساب قريقوار حساب يوليوس وهكذا في المستقبل عدا موفى ٢٠٠٠ لانه رابع قرن بعد ١٦٠٠ فيكون فيه كبس على الحسابين معا ولا يتكون فيه فرق يوم . وقد وقع العمل بحساب قريقوار ابتداء من عام ١٥٨١ عند فرانسا وايطاليا واسبانيا والبرتغال واما هولاندة والدانمارك والبروتستانت فلم يعملوا به الا في سنة ١٧٠٠ . والانقليز عمل به سنة ١٧٥٢ ثم عملت به جميع ممالك اروبا ما عدا الروس والاروام وبعض المسيحيين في الشرق ورغما من تدقيق حساب قريقوار فانه يبقى منه كسر قليل يتكون منه يوم بعد ثلاثة ءالاف سنة . ومن يعيش ير . ورغما على صحة حساب قريقوار ووضوحه كالشمس في رابعة النهار فان التونسيين لم يعملوا به ان الفرنساويين عدلوا عن حساب قريقوار فيما يخص مبدإ السنة وذلك في عام ١٧٩٢ وجعلوا راس السنة نقطة الاعتدال الخريفي في سبتامبر واستمروا على ذلك الى سنة ١٨٠٥ ثم رجعوا الى تقويم قريقوار في عام ١٨٠٦

وامر قيصر الروسيا في سنة ١٦٩٩ ان يكون راس السنة جانفي مثل اروبا بدل اول يوم من سبتامبر وبقي تقويم اشهرها على حساب يوليوس ثم عملت الروسيا ويوغوسلافيا حساب السنة على راي قريقوار في سنة ١٩٢٣ اي بعد الحرب الكبرى . وارخت بذلك جمهورية تركيا وعدلت عن تواريخها ابتداء من عام ١٩٢٦

ومن حسن الاتفاق ان مولده صلى الله عليه وسلم كان في افريل وهو من اشهر ربيع الازهار وهجرته كانت في سبتامبر وهو من اشهر ربيع الثمار (١) ولله من ارادته حسن الاختيار .

(٢) هذا وقد اقترح بعض الحساب من ذوي الالباب ان يتخذ الاعتدال الخريفي لهاته الاسباب مبدأ لتاريخ هجري شمسي زيادة على التاريخ القمري ودعاهم لذلك كون الحساب الشمسي لا محيص منه والامة الاسلامية تستعمله من عهد الخلافة لجباية الخراج ومراعاة لفصول الانتاج غير انها لم تجد مبدأ اسلاميا تستند عليه وتؤرخ به الحساب الشمسي وقد حاولوا اعطاء اسماء الاعوام العربية الى السنين الشمسية فنشأت عن ذلك اغلاط رغما على ما اتخذوه من الاحتياط وابتلعت ٣٣ سنة شمسية عاما عربيا اذا كان العد بالسنوات الشمسية وفاقت الاعوام العربية بعام على الاعوام الشمسية اذا كان العد بالاعوام العربية .

وقد استندت الملل الاسلامية اخيرا بحكم الضرورة الى مبدإ التاريخ المسيحي .

وهذا الاقتراح الذي ابداه في هذا الباب احد (٣) نبغاء الحساب وهو عين الصواب قد رتب له تقويما شمسيا وسمي له اشهرا وحبذا لو وقع العمل به .

وقد كان اهل الاندلس واهل المغرب يحسبون بالشمسي مع القمري لان فصول العام ومصالح البشر في معاشها وعبادتها مرتبطة بسير الكوكبين والى الان سكان المملكة التونسية يحسبون بالاشهر الشمسيه مع القمريه ويحافظون على اوقاتها ومواسمها مثل راس السنة وايام السمايم ٤٠ في الحر والبرد من ١٢ جويليه ومن ١٢ دسمبر - واستجباب مطر النيسان من ٢٧ افريل الى ٣ مايه - واتخاذ اوقات معلومة شمسية للفلاحة والغراسة وهم محافظون على تقويم يوليوس العتيق ولكن بدون مبدا ترجع اليه السنوات الشمسية واخيرا تغلبت المسيحية - هذا واولى الايام الشمسية بالاعتبار والاحتفال العشرون من افريل الذي ولد فيه صلى الله عليه وسلم او الثاني والعشرون منه عملا بتصحيح الحساب وكذلك اليوم الثالث والعشرون من سبتمبر الذي بنى فيه صلى الله عليه وسلم مسجد قبا في هجرته المباركة

بقي الكلام هنا على يوم عاشوراء الذي وجد النبيء صلى الله عليه وسلم اليهود يصومونه عند ما اتى المدينة في ربيع الاول - وسنطرقه في فرصة اخرى ان شاء الله لبيان آراء علماء الحديث وعلماء الفلك في ذلك

وبما تقرر تحصحص ان الهجرة كانت في ربيع الاول لا في المحرم وفي الاعتدال الخريفي بشهر سبتامبر لا في شهر جويلية وان المناسب ان يكون تذكارها في تاريخها الحقيقي بالقمري والشمسي معا وفي نفس تلك الايام والشهور والى الله عاقبة الامور

محمد المقداد الورتاني

---

(١) وكنت قلت في هذا المعنى ۞ لمحمد خير الفصول ربيعها - واليه في خير البقاع مكان ۞ ان الربيع اذا الزهور تعطرت - ومتى يحين النخل والرمان ۞

(٢) اكثر الامم في القديم اتخذت فصل الخريف مبدأ لاعوامها ومن ذلك المصريون والكلدانيون والاشوريون والفنيقيون والقرطاجنيون وكذلك الفرنساويون عند ثورتهم الكبرى وكانت حسابات الدواوين في المملكة التونسية مبدؤها شهر اكتوبر - بالخريف وهو قريب من الاعتدال الخريفي الذي يكون في سبتامبر ٢٣ وكانت بعض الامم مثل الفرس تبتدئي حساباتها باول شهر مارس في الربيع وهو قريب من الاعتدال الربيعي الذي يكون في ٢١ مارس .

ويوم حلول الشمس في برج الحمل يسمى النوروز

ويوم الاعتدال الخريفي عند حلول الشمس برج الميزان يسمى المهرجان .

(٣) أبدى هاته الفكرة ابو الضياء توفيق في رسالته المسماة تقويم الادوار ١٢٨٧ بالاستانة

اصلاح غلط

خطأ	الصواب	صحيفة	سطر
الجوهوي	الجوهري	١٢٧	١٣
قلوبهم	قلوبهم	١٢٧	٢٤
النواتر	التواتر	١٣٠	٤
صححه	صحيحه	١٣٢	٣
فشربوا	فشربوا	١٣٢	٧
فدعى	فدعا	١٣٢	١٥
ما	مما	١٣٢	١٦
وفد	وقد	١٣٣	١١
شرح	شريح	١٣٣	١٤
الروات	الرواة	١٣٣	٢٠
بريد	بريدا	١٣٣	٢٠
الهدي	الهدى	١٣٣	٢٤
بشريعته شريعة	شريعته بشريعة	١٣٤	١٠
في سورة .	في سورة نوح : انا ارسلنا نوحا الى قومه	١٣٤	١٦
سنة	لسنة	١٣٥	٢٠
نموه	نومه	١٥٢	١٢
العالم	العلم	١٤٠	٢١١